عالم خفايا الصهيونية

سر أبناء صهيون

إعداد وتأليف

د. يوسف حسن المصري



بطاقة فهرسة

مكتبة جزيرة الورد

اسم الكتاب :عالم خفايا الصهيونية..سر أبناء صهيون

المؤلف : د. يوسف حسن المصري

رقم الإيداع :

رقم الإيداع :

٢٠١٠/٢٤٩٢٣

الطبعة الأولى ٢٠١٠



القاهرة : ٤ ميدان حليم خلف بنك فيصل

ش ٢٦ يوليو من ميدان الأوبرا ت : ٠١٠٠٠٠٤٠٤٦ _ ٢٧٨٧٧٥٧٤

Tokoboko_5@yahoo.com

إهداء

إلى جمهوري الحبيب..

أهدي لهم جميعًا كتابي هذا

دكتور

يوسف حسن المصري

المقدمة ..

■■■■■

هذا الكتاب من سلسلة كتبي التي أردت بها أن ابتغي وجه الله تعالي وأحاول الكشف عن مخططات تدمير العرب سواء كانوا مسلمين، أم مسيحيون من خلال المنظمة الصهيونية العالمية الشيطانية الخفية التي تنشق منها بعض المنظمات العالمية الخفية سواء دينية، أو إعلامية، أو اقتصادية، والهدف منها التحكم في العالم عن بعد والسيطرة علي موارده وخيراته والتخلص من كل العقول المبدعة، والمفكرة لتسود قوي الشر وتحكم الأرض.

وأنا وأعواني لهم بالمرصاد

يهدف هذا الكتاب إلى تعرية الحركة الصهيونية من جهة لاهوتية، والكشف عن عقائدهم الغير مدعومة كتابيًا والمزيفة، فهي لا تمت بصله كما تدعي للإيمان المسيحي الحقيقي الصحيح والمبني في أساسه على عدم القتل والدمار والاستغلال بل على السلام والمحبة ونشر العدل والخير، ومن جهة أخرى سأحاول الكشف عن مخطاطتها السياسية، والتي تشكل الأسباب الرئيسية في تأسيسها وفي دعم الدول الغربية سياسيًا لها. وما تشكله هذه المخططات من خطر كبير يستهدف أبناء المجتمع العربي في الشرق الأوسط بكافة أطيافه بشكل عام والمجتمع الفلسطيني بشكل خاص.

سر أبناء صهيون الأعظم

عالم خفايا الصهيونية

الفصل التمهيدي

مفهوم اليهودية

أما اليهودية فهي ديانة سماوية جاء بها سيدنا موسى عليه السلام وهي أقدم الديانات، لكنها تعرضت للتحريف فهي تقوم على أساس توراة ملفقة، كتبت أسفارها مئات السنين بعد سيدنا موسى عليه السلام وفي أرض «الشتات» وباللغة الآرامية، كما أن اليهودية تقوم على تلمود أكثر تلفيقا من التوراة زيادة على أقوال خاخامية متشددة ومختلفة .

و اليهود هم أتباع اليهودية، وهم من ولدوا من أم يهودية فهي لا تقوم على أساس دعوة الناس لاعتناقها وإنما على أساس العرق .

أخلاق وصفات اليهود :

و اليهود كما وصفهم القرآن الكريم فهم أهل شقاق ونفاق وأنهم مفسدون في الأرض، وأنهم يستبيحون أموال الناس بالباطل، وأنهم ينقضون العهود والمواثيق، وأنهم قسات القلوب، وأنهم منحرفوا العقيدة، وأيضًا بأنهم جبناء، وأنهم مفتتون من الناحية الإجتماعية.

و يمكن إعتبار يهود اليوم قسمين:

١ – قسم علماني لا يؤمن بالله ولا يؤمن بموسى ـ عليه السلام ـ فالذين تبنوا وأسسوا الحركة الصهيونية هم ملاحدة علمانيون من أمثال هرتزل وقره صو، والذين أسسو الكيان الصهوني سنة ٤٨ من أمثال عيز ويزمان وبن غوريون هم علمانيون، وحزب العمل الذي حكم من سنة ٤٨ إلى ٧٧ هو حزب علماني وهم إنما يتعاطفون مع المعطيات اليهودية تعاطفًا مكيافيليًّا انتهازيًا، قائمًا على توظيف هذا الخطاب الديني وهذه الأساطير التي شرحها المفكر الفرنسي روجي غارودي في كتابه «الأساطير المؤسسة للأساطير الإسرائيلية» من أجل أن يقيموا مشروعهم الصهيوني الاستطاني الاستعماري الرأسمالي الشرس.

٢- الصنف الثاني: فهم اليهود «المتدينون» المتزمتون المنفذون لتعاليمهم الكهنوتية، ولكن في شقها الاستيطاني الذي قوامه كراهية الديانات وبالخصوص الإسلام والمسلمين والحقد عليهم.

و اليهود بشكل عام يتصفون بالحقد على الآخر واغتصاب أرضهم وتمني قتلهم، وإشاعة التوصيات بجواز اغتصاب نساءهم وأكل أموالهم والتعامل معهم بالوباء... وهذا التدين غير عادي فلا يوجد من تدين اليهود اليوم من توراتهم وتلمودهم الملفقين إلا أقوال عنصرية محضة. فعلى سبيل المثال لا الحصر: يقول اليهود :«ليس الله (حاشا لله) معصوما من الطيش والغضب والكذب» ويعتقدون أن الله (سبحان الله وتعالى عما يقولون) يجزأ النهار إلى ثلاث أجزاء، جزء من بين الثلاث يلعب فيه مع الحوت !! فإذا كانت هذه هي نظرتهم إلى خالق الخلق أجمعين سبحانه وتعالى فما بالك بالإنسان من غير اليهود حيث يعتبرون أن «أرواح اليهود تتميز عن باقي أرواح الناس بأنها جزء من الله كما أن الابن جزء من أبيه، فإذا ضرب أمي (غير يهودي) يهوديًا فكأنما ضرب العزة الإلهية» وكما جاء في ديانتهم بخصوص غير اليهود والذين يسمونهم بـ «الغوييم» أن: «خلق الله الناس من غير اليهود من نطفة حصان» لذاك فهم يعتبرون أن غير اليهودي ليس إنسانًا وإنما هو في الحقيق حيوان، ولكن لماذا هيئته كاليهودي فيجيبون بـ «أن الله (سبحانه عما يقولون) خلق هذا الإنسان غير اليهودي على شكل إنسان لكي يكون صالحًا لخدمة اليهودي». وقد جاء في ديانتهم إذا رأى إنسانا مرميًا فوق الأرض فانظر إليه، فإن كان يهوديا فهو إنسان، وإن لم يكن يهوديا فهو حيوان خلقه الله في صورة إنسان لخدمة بني إسرائيل. ولذلك فهم يحرمون الشفقة على غير اليهود، ففي التلمود نص يفيد بأن إذا شخص رأى إنسانا من غير اليهود واقفًا في نهر (أي في خطر) يحرم عليك

(اليهودي) أن تنقده بل أكثر من ذلك عليك أن تتخد منه موقفًا سلبيًا . وكذلك بخصوص التعامل مع غير اليهودي فهو تعامل مختلف تماما سلبيا جدا ففي القول الذي لفقوه زورا وبهتانًا لسيدنا موسى ـ عليه السلام ـ وهو: «حرام على اليهودي أن يقرض أحدا من الغوييم إلا بالربا، وحرام عليه أن يقرض أخاه بالربا» كما أن الحاخام إبراهان أفيدام من مسؤولي الشؤون الدينية في جيش الإرهاب الصهيوني كان ذات مرة يخاطب الجنود ويقول: «مصَرح لكم بل واجب عليكم طبقا للشريعة أن تقتلوا المدنيين الطيبين، وإستشهد بقوله: يجب عليك أن تقتل الناس من غير اليهود». وفي نفس السياق نجد ما تشبه الفتوى للزعيم الروحي وأسطورتهم «الموسوعية» كما يدعون ويفتخرون به ويعتبرونه رمزًا للثقافة الإنسانية المنفتحة عندهم موسى بن ميمون الذي قال : «من زنى من اليهود بيهودية ، فهو في النار ومن اغتصب غير اليهودية فقد تقرب إلى الله». وكل هذا يأكده القرآن الكريم بقول الحق سبحانه وتعالى في سورة آل عمران الآية ٧٥ بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ ﴾ .

اليهود وفكرهم الدموي:

اليهود كما أسلفنا شعب عنصري ويقوم على أساس استغلال الآخر واستباحته ولذلك فكل تاريخهم وفكرهم مرتبط بمجازر وهم لا ينكرون ذلك فهم يقولون واعتمادًا على عدة أفكار ملوثة: «إذا تقدمت لمدينة لتقاتلها فاضرب كل ذكر بحد السيف وأما النساء والأطفال وذوات الأربع فهي غنيمة الرب لك» وفي قول آخر يقولون «هذا شعب كلبوءة أو كشبل ينهض ، ولا يربض حتى يأكل الفريسة ويشرب من دمها» !! لذا فإننا نجد أن لهذه العلاقة الدموية المرتبطة بالمجازر لها جذور توراتية (طبعا المزورة) تلمودية فكما جاء في التوراة الملفقة «أن نبي الله موسى

هو الرمز اليهودي الأول (حاشا لكليم الله عليه السلام) يقول الآن إقتلوا كل ذكر من الأطفال» بل أكثر من ذلك «إن يشوع (أي وصي سيدنا موسى) عندما دخل أريحا قتل كل من في المدينة من رجل وامرأة وطفل وشيخ حتى البقر والغنم بحد السيف» أي على حد اعتقادهم عمل مجزرة إجرامية. لذلك فاليهود متشبعين بهذا الفكر بشكل كبير فهذا الإرهابي بن غوريون يقول بخصوص هذا الأمر «إني أعتبر يشوع هو بطل التوراة لأنه لم يكن مجرد قائد عسكري بل كان المرشد؛ لأنه توصل إلى توحيد قبائل بني إسرائيل وكان هذا التوحيد عن طريق مجازر» من أجل هذا فإننا نجد الآن أنه عندما كانت شعبية الإرهابي شارون قد تدنت إلى أدنى مستوياتها (٢/ ٠٢/ ٢٠٠٢ مثلا) قام بمجازر في جنين ونابلس وغيرها (حملة السور الواقي) بعد ذلك ارتفعت شعبيته إلى أزيد من ٧٥٪ أي أن هذا شعب مجرم إرهابي متعطش للدماء.

نظرة وتعامل اليهود مع المسيحيين:

ينظر اليهود إلى السيد المسيح والمسيحيين بنظرة جد سيئة حيث يعتبرون أن ولادته كانت غير شرعية ويتحدون على أن مصيره في النار. أما بالنسبة للإنجيل فهم يقولون «أن الإنجيل كتاب مملوء بالإثم وتلاميذ المسيح ملاحدة» أما عن الكنائس «كنائس النصارى قاذورات والواعظون بها أشبه بالكلاب الضالة». وخير دليل على هذا ما جرى ببيت لحم (أبريل ٢٠٠٢) من محاصرة وتدنيس لأقدس مقدسات المسيحيين كنيسة المهد على أيدي جيش الإرهاب الصهيوني. أما عن المسيحيين بشكل عام فهم يعتبرونهم «أولاد إبليس» ويقولون أيضا: «ممتلكات النصراني لا مالك لها فلذلك أول يهودي يستولي عليها فهو مالكها الأصلي» لذلك يعتبر التلمود أنه يجب على اليهود أن يعملوا المسيحيين مثل حيوانات دنيئة غير عاقلة.

خدعة التفريق بين الصهيوني واليهودي:

هناك بعض الفئات من اليهود التي تعارض قيام دولة «إسرائيل» ويعتبرون ذلك كفر كما سبق وأن أشرنا لكن هذه الفئة وللأسف تبقى فئة صغيرة لا يمكن مقارنتها مع الأغلبية الساحقة من اليهود التي تقابلها. فإذا ما استثنينا هذه الفئة الهامشية سنجد أن خدعة التفريق بين الصهيوني واليهودي لا تقوم على أي أساس لأن الصهيونية ولو أن مؤسسيها علمانيون فإنها انطلقت من المقدس في التوراة والتلمود (الملفقين) وكتابات الحاخامات وتراث يهود القبالاه. وهذا المقدس مشترك عند اليهود جميعا، وبالتالي فأحلام العودة إلى أرض الميعاد والاعتقاد بشعب الله المختار والحقد على بقية الشعوب واستحلال دمائهم وأعراضهم، والحنين إلى فلسطين وإلى جبل صهيون، وإلى الهيكل، وحائط «المبكى»، ولم الشتات وبقية الخرافات ... كل هذه من ثوابت العقيدة اليهودية (المحرفة) فالتوراة عبارة عن كتاب في الجغرافية السياسية والجغرافية الدينية لأن فلسطين حاضرة فيها وفي الكتابات التوراتية بشكل مركزي، ولا يمكن ليهودي مؤمن بعقيدته يقرأ التوراة والتلمود صباح مساء، إلا أن يتشبث بهذه الثوابت، وبالتالي وانطلاقا من هذا المنطلق هل يجوز ليهودي مخلص أو غير مخلص محب أو غير محب متدين أو غير متدين، أن يرفض المشروع الاستيطاني الذي بني بإحكام ومهارة على أساس من هذه المعتقدات مع فارق بسيط هو أن العلماني يوظفها بطريقة انتهازية وأن المتدين يطبقها بطريقة تنسجم فيها عقليته مع عقيدته، ثم كلنا يعلم الخلاف الذي ظهر في مؤتمر بال سنة ١٨٩٧ ما بين الفريق الذي عارض قيام دولة «إسرائيل» خوفا على مصالح اليهود أن تضرب في العالم لكنه في النهاية أُقنع المتخوفون أن تخوفهم في غير محله وبهذا اتفقوا على قيام دولة محتلة سموها بـ «إسرائيل» وكان السبب الذي اقتنعت من خلاله الجماعات

المعارضة هو أن الصهيونية ستسوق عبر أداتها الجهنمية وهي الإعلام فكرة التمييز بين اليهودي وبين الصهيوني بحيث لا يخشى على اليهود في الخارج من أن يمسوا أو أن تضرب مصالحهم، وأن يبقوا دائمًا مددًا لدولتهم اللاشرعية وشريانا لها (مع استثناء بعض السكان الأصليين اليهود الذي لا علاقة لهم مع الكيان الغاصب). وللأسف هذه الخدعة انطبقت على الكثير منا. فإذا أخذنا كمثال اليهود المغاربة هاجروا إلى فلسطين (للأسف تُركوا)، فمنهم أمازيغ أقحاح ولا علاقة لهم بالحركة الصهيونية باعتبارها نزعة فلسفية قومية ولا علاقة لهم بالثقافة الغربية وإنما سيقوا إلى فلسطين بإغراءات دينية محضة وهم الآن من أشد الصهاينة عداوة وحقدًا على الفلسطينيين المجاهدين. وكذلك الشأن ينطبق على مئات وألوف اليهود الروس والبولونيين واليمنيين والفلاشا ... فهؤلاء أجناس وأقوام ولغات وعادات وتقاليد مختلفة اجتذبتهم الصهيونية من ثقافتهم الدينية. إذن فإذا كانت الثقافة الدينية هو أساس الفكر الصهيوني، فكيف يستطيع الفرد أن يميز بين الصهيونية واليهودية؟ (طبعًا هناك بعض الاستثناءات لكن قليلة لا يمكن البناء عليها.)

من هو اليهودي؟

اليهودي: هو عضو بالديانة اليهودية، أو المجموعة العرقية اليهودية، أو الشعب اليهودي. ويرجع اليهود في أصولهم إلى السكان الأصليين لأرض إسرائيل أو فلسطين، أو إلى أولئك الذين اعتنقوا اليهودية، وأصبحوا جزءًا من الشعب اليهودي. وليس كل اليهود مؤمنين متدينين. بعض اليهود ملحدون أو غنوصيون ليس لهم موقف محدد من الغيب. وبعض أولئك الذين يعترف بهم القانون الإسرائيلي كيهود، لأسباب عرقية، هم في الحقيقة مسيحيون.

ما هي العقيدة الشفوية، وما هو التلمود؟

التلمود هو خلاصة المناظرات والحُجج الخاصة بالأحكام الدينية، والتي تضمن المشناة والجمارة. وكانت هناك مجموعتان من تلك الخلاصات، إحداها تكونت في فلسطين الرومانية وتسمى تلمود القدس، والأخرى كتبت في العراق وتسمى التلمود البابلي. والتلمود البابلي أكثر استفاضة وأهمية. وبينما انتهى التلمود المقدسي عند القرن الخامس ق.م.، فإن التلمود البابلي قد ضم إضافات إلى نحو عام ٥٠٠ م. وكلاهما يعكسان بالطبع ثقافة وواقع تلك الأزمنة.

وحوارات التلمود وأحكامه مبنية على المشناة وهي عبارة عن تنظيم وتصنيف للشريعة الشفوية. واليهود الأرثوذكس يؤمنون بأن موسى تلقى الكتب الخمسة الأولى بالعهد القديم (التوراة)، وفي نفس الوقت ترك تراثًا من التعاليم الشفوية التي فصلت مجمل الشريعة المكتوبة وشرحتها. التوراة نفسها لا تقبل التغيير، أما التعاليم الشفوية فهي ضرورية لتطبيق الشريعة في حالات مختلفة، ومواءمتها لظروف متغيرة، دون تغيير مقاصدها، تمامًا كما تفسر المحكمة الدستورية الأمريكية الدستور الأمريكي. على سبيل المثال، تم تعديل كل القوانين المتعلقة بالعبادة والتضحية عند المعبد حين تم هدمه ونُفيَ الشعب اليهودي، وذلك للتواؤم مع الظروف الجديدة. وكل من اليهود والمسيحيين يؤمنون بعض قوانين العهد القديم ليس المقصود منها المعنى الحرفي لها. والسلطة النهائية للشريعة هي السَنهيدريم الأكبر، وهو تجمع لكبار الحاخامات. ومنذ حل السنهيدريم حوالي ٥٠٠ م لم يعد هناك سلطة دينية واحدة معترف بها لليهود. على أية حال، كانت الشريعة تفسر وتعدل وفقًا لمجموعة مختلفة من الحاخامات، ممن يعترف معظم اليهود بجدارتهم، والتي تشتمل على سبيل المثال على الحاخام جيرشوم الذي حرم تعدد الزوجات،

والحاخام موسى بن ميمون. وهذه الأحكام تسمى «شريعة الهالاخاة» أو الهالاخاة

هل يفسر المسيحيون واليهود الشريعة بطرق مختلفة بسبب التلمود؟

تتهم المواقع المعادية للسامية اليهود بأنهم يتبعون التلمود بينما يتبع المسيحيون العهد القديم، والواقع أن العبادتين المسيحية واليهودية كلتاهما تنطلقان من كلمات العهد القديم الحرفية، والتي تعكس التراث الشفوي اليهودي والقانون العرفي. على سبيل المثال لا يدافع معظم المسيحيين واليهود عن الرجم حتى الموت لمن ينتهكون حرمة السبت أو يسبون الإله، كما لا يدعون إلى قلع عين أحدٍ تماشيًا مع آية «العين بالعين والسن بالسن». التفسيرات والتعديلات على العهد القديم الحرفي تستند جزئيًا إلى تراث الشريعة الشفوية، والتي كانت معروفة بالفعل زمن عيسى، وتم تصنيفها لاحقا من خلال التلمود.

هل يحتوي التلمود على افتراءات نحو عيسى والمسيحيين؟

هناك العديد من الإشارات إلى يشوع (عيسى) في التلمود، وكذلك إلى مريم (أحيانًا ما يظن أنها ماري). على أية حال، كانت تلك من الأسماء الشائعة، ويمكن في كل حالة إثبات أن المقصودين بهذه الأسماء هم أناس عاشوا قبل مجيء المسيح، وأن الحوادث المذكورة ليس لها علاقة بعيسى. واسم ماري من المحتمل أنه لم يكن مِريَم أو مَريَم، كاسم أخت موسى، بل ميري أي: «ثورة». والمشناة والتلمود كتبًا في وقت لم تكن المسيحية فيه قد ظهرت، أو كانت متمثلة في طائفة ضئيلة العدد، أما «الخصوم» الأساسيين لليهود في ذلك الوقت فكانوا الوثنيين. ومسألة أن التلمود يشوه عيسى والمسيحيين هي محض تلفيق من مسيحيي القرون الوسطى، ومن واكبهم من اليهود المتحولين إلى المسيحية، تزلفًا إليهم.

هل لليهود شريعة مختلفة للجوييم (غير اليهود) تختلف أحكامها عن أحكام شريعتهم؟

يدعي معادو السامية أن الشريعة اليهودية تعامل غير اليهود بطريقة مختلفة، وتعتبر الجوييم «حيوانات». وفقًا للشريعة اليهودية لا يلزم غير اليهود القيام بالطقوس والالتزامات الدينية المفروضة على اليهود. أنشا ذلك مجموعة من الأحكام التي تتعامل مع اليهود وغيرهم بطريقة مختلفة. مع ذلك؛ فإن الشريعة عمدت بصفة عامة إلى المساواة وإلى معاملة الجميع على التساوي في الأمور غير الدينية. ووفقًا للاويين، ٢٤: ٢٢، حكم واحد يكون لكم . الغريب يكون كالوطني إني أنا الرب إلهكم .

وتتناول رسالة «أفودا زاره» الجوييم، لكن الإشارة تعود إلى الوثنيين لا المسيحيين. إنها تذكر على الخصوص الأعياد الرومانية الوثنية مثل الكاليند والساتوماليا. وتشير الرسالة إلى الوثنيين بكلمة «أكوم» وهي مختصر يشير إلى عباد النجوم وعلامات الفلك. وكتب الشريعة اليهودية تحوي بعض العبارات غير الطيبة بالمرة عن الوثنيين الهمجيين، لكن هكذا الشأن في كتب المسلمين والمسيحيين المقدسة كذلك.

هناك بعض الإشارات المتعصبة إلى غير اليهود وإلى الشعوب ذات الأعراق المختلفة في الكتابات اليهودية، تمامًا كما توجد مثل هذه الإشارات في كتابات المسلمين والمسيحيين، لكن لا يوجد أساس للاتهام الموجود على العديد من مواقع الانترنت بأن الديانة اليهودية عنصرية. اليهود الأحباش هم أفارقة سود، ووفقًا للتراث، فإن زوجة موسىٰ كانت سوداء كذلك.

فُسِّرَ التلمود بطرقٍ عدة، من علماء متعددون. أحد هذه التفسيرات البارزة

والليبرالية، والمثيرة للجدل، موجودة بكتاب «تسع قراءات تلمودية» للفيلسوف الفرنسي اليهودي ذي النزعة الإنسانية إيمانويل ليفينا. لقد عرض المسائل بشعور بالمسئولية نحو الآخر، ونحو الغريب عنا. حُرِّر هذا الكتاب وترجم إلى الإنجليزية مع مقدمة لآنيت آرونويش كما نشر بلغات عدة.

للأسف فإن بعض اليهود، مثل الحاخام الراحل كاهانا وأتباعه، متعصبون وعنصريون، تماما كما أن بعض المسيحيين والمسلمين (ومنهم أولئك الذين ينشرون المواد المعادية للسامية على الإنترنت) متعصبون وعنصريون. الكتب المقدسة وتعاليم كل الأديان قد نشأت منذ زمن طويل، وهي إلى حد ما تعكس الأحكام المسبقة والأخطاء الشائعة في تلك الأزمنة التي كتبت فيها. والعديد من المتعصبون يجدون «أدلة» لمعتقداتهم في التفسيرات شديدة الحرفية، أو غير الصحيحة، أو المزيفة للكتب المقدسة أو التعاليم الخاصة بكل دين.

ما هو حِسرونوت (خسرونوت) شاس؟

في البلاد المسيحية قديمًا، كان التلمود وغيره من كتب الشريعة اليهودية تخضع للرقابة من قبل السلطات المسيحية، التي اعتقدت أن بعض الفقرات بهذه الكتب تحوي إهانات للمسيحية أو الجوييم من غير اليهود. وهذه الفقرات المحذوفة جمعت في مخطوطات وجدت طريقها سرًا إلى اليهود، وعرفت باسم حِسرونوت شاس. وكلما كان يسمح بنشر نسخ من الكتب اليهودية دون بتر كانت الطبعات المصححة تنتشر. مع ذلك فإن بعض الطبعات المبتورة كانت لاتزال تجد طريقها إلى النشر، وبالتالي لزم أن ينشر إلى جوارها كتاب منفصل للحسرونوت ليكمل ما بترته يد الرقابة.

***

أمثلة من المواد المحذوفة والتي تظهر في حِسرونوت شاس:

ملاحظة حاخامية بأن اليهود لا يمكن أن يحققوا القداسة الكاملة وهم في الشتات بسبب معاناتهم تم حذفها باعتبارها إهانة للجوييم من غير اليهود، رغم أنه من الواضح أن اليهود عانوا بالفعل في الشتات.

تم حذف دعاء على نبوخذ نصَّر ملك البابليين لأن الرقيب اعتقد أنه تلميح خفي إلى المسيحيين، رغم أن مدنا بعينها ببابل كانت تذكر وكان السياق جليًّا.

إن شرب أحد ما شيئًا سامًا، وأصبح من الممكن أن يموت، فإنه يجب عليه أن يبصقه، حتى في وجود ملك، رغم بذاءة هذا التصرف. حذف الرقيب كلمة ملك.

هذه هي أشكال المواد الموجودة بحسرونوت شاس، والذي يوصف بالمواقع العنصرية باعتباره كتابًا سريًا وشيطانيًّا يحوي مؤامرات اليهود ضد المسيحيين. ليس الكتاب سريًا. بوسع أي أحد أن يشتريه، ومحتواه غير مؤذ. ومعظم اليهود، ممن ليسوا علماءً تلموديين، لا يعرفون حتى بوجود مثل هذا الكتاب.

هل يعتقد جميع اليهود بالتلمود وكتب الشريعة الأخرى ويتبعونها؟

بعض اليهود ملحدون أو غنوصيون لا يؤمنون بأي من هذه «الكتب المقدسة» إلا كتراث ثقافي، وغيرهم ليس لديهم حتى فكرة عامة عما بهذه الكتب. ناعوم تشومسكي يهودي، وهو بالقطع لا يتبع شرائع التلمود، ولا كان يتبعها رئيس الوزراء السابق آرييل شارون. وداخل الديانة اليهودية هناك فرق متعددة ومختلفة. اليهود الأرثوذكس يتبعون التلمود والأحكام المتأخرة للحاخامات المتفق على جدارتهم بخصوص الهالاخاة. لكن هؤلاء الأرثوذكس لهم فرق مختلفة تتبع حاخامات مختلفين، وبينهم فروق بسيطة في الأحكام. معظم الأرثوذكس مثلاً لا

يقبلون عددا من الأحكام المهمة لرئاسة الحاخامية بإسرائيل. اليهود المحافظون يتبعون الأحكام بشكل مختلف إلى حد ما، أما اليهود الإصلاحيين، وحركات التجديد بصفة عامة فهم أكثر تحررا في تفسيراتهم للشريعة.

هل يعتقد اليهود الأرثوذكس بكل ما في كتب الشريعة؟

تحوي كتب الشريعة كلًا من قوانين الهالاخاة والآراء الظرفية التي دخلت إلى النقاش أثناء تقرير أحكام الشريعة. على سبيل المثال، عند مناقشة ما يسمح للناس بحمله أثناء السبت تناول كبار علماء التلمود مسألة جواز حمل التمائم المقاومة للأمراض، ووصفوا بعض هذه التمائم والعلاجات. هذه العلاجات المتنوعة الموصوفة في سياق النقاش لا تعتبر جزءًا من الهالاخاة، أو الشريعة اليهودية. بالمثل فإن الآراء الظرفية المتعلقة بالقانون الطبيعي، والعرق، وغيرها من المسائل التي قد تظهر في التلمود أو غيره من الكتب لا تعتبر جزءًا أصيلاً من الشريعة.

هل التلمود هو أساس الصهيونية؟

ينتشر هذا الإدعاء على المواقع المعادية للصهيونية، وهو ادعاء واضح الزيف. العديدون من مؤسسي الصهيونية، بمن فيهم تيودور هرتزل، لم يكونوا يهودًا متدينين، وما كانوا يتبعون التلمود. بالمقابل، فهناك العديد من فرق اليهود غير الصهيونية، أو حتى المعادية للصهيونية، مثل ناطوري كارتا وأتباع الحاخام ساتمار (الناشيء في مدينة ساتو ماري بنواحي ترانسلفانيا)، ممن يتبع جميعهم شرائع التلمود، ويضموا بين صفوفهم بعضًا من علمائه، دون أن يكون أحدهم صهيونيًّا.

الصهيونية حركة حديثة، تستند إلى مفهوم أن اليهود شعب وأمة، وبالتالي لهم حق تقرير المصير في دولة خاصة بهم. الصهيونية لم تضع حدود الدولة اليهودية،

والصهيونية ليس لها علاقة بالتلمود.

هل أخفي التلمود عن غير اليهود؟

التلمود وغيره من الكتب اليهودية ليست سرًا على أحد. كتب التلمود بالآرامية، ودون بأسلوب تلغرافي، مما استدعي إسهابا في التفسير والدراسة لفهمه جيدا. وبغض النظر عن الدين، فمن لا يملك هذه الخلفية سيجده عسيرًا جدًّا على الفهم، حتى ان كان عارفا بالعبرية، التي هي شبيهة بالآرامية بشكل ما.

ما مصدر التشويهات ضد التلمود والتي تظهر على المواقع المعادية للسامية؟

نشر المسيحيون والمرتدون اليهود إلى المسيحية، في الأزمنة القديمة، مخطوطات وكتب مليئة بالمعلومات الخاطئة عن التلمود. واستخدم بعض ذلك في «المناظرات» العامة. وحين كان اليهود يخسرون تلك المناظرات كانت مجتمعات بأسرها تجبر أحيانا على النفي، أو التحول إلى المسيحية. وهناك خلاصة لتلك الافتراءات نشرها حديثًا القسيس الكاثوليكي الأب أوغست روهلنغ من براغ تحت عنوان «اليهودي التلمودي». كانت عبارة عن هجوم وحشي معاد للسامية ذائع الانتشار بين الكاثوليك. خسر بعدها روهلنغ قضية تشهير وسب مما أثبت زيف دعواه، لكن مواد الكتاب لا زالت تتداول. أحد المصادر الأخرى لهذه التشويهات أعمال إسرائيل شحاق، وهو يهودي حوَّر الحقائق في سبيل حملته العنيفة ضد الأصوليين اليهود. بهذا يصبح شحاق مثالًا آخر على اليهود الذين لا يؤمنون بالشرائع التلمودية.

هل يعود أصل اليهود إلى الخزر؟

خمن الراحل آرثر كوستلر أن اليهود الأوروبيين (الأشكيناز) يعود أصلهم إلى

إحدى قبائل آسيا الوسطى، الخزر، والتي تحولت بشكل

جمعي إلى اليهودية. واستخدم المعادون للسامية والصهيونية هذه النظرية ليزعموا أن اليهود الأشكيناز ليس لهم حق في دولة إسرائيل. لكن الأبحاث اللاحقة أثبتت أن الادعاء بأن الأشكيناز تعود أصولهم إلى الخزر هو ادعاء مشكوك فيه بدرجة كبيرة. تحولت قبائل عدة، في أزمنة مختلفة، إلى اليهودية، بما فيها بعض القبائل العربية بمملكة اليمن، الخزر، كما تكرر الزواج المختلط بينهم وبين اليهود «الأصليين». وبالمثل تحول كثير من اليهود، طوعًا أو قسرًا، إلى المسيحية والإسلام. وأقوى الأدلة تشير إلى انتشار اليهود من روما إلى كل أنحاء أوروبا. كانت هناك مجتمعات يهودية بفرنسا في العصور المظلمة على وجه اليقين. يعود يهود آخرون في أصولهم إلى اليهود الإسبان (السفارديم) والذين أجبروا على مغادرة إسبانيا في عام ١٤٩٢. وتشير الأدلة الجينية إلى أن اليهود الأوروبيين أقرب إلى لفلسطينيين والسوريين العرب من سكان آسيا الوسطى، الذين تعود أصولهم إلى الخزر. اقرأ على سبيل المثال (بالإنجليزية) مقالات عن هذا الموضوع هنا وهنا. على أية حال فإن علاقة الناس بأمتهم لا تكاد تعود أبدًا إلى الجينات الوراثية أو إلى «العنصر». لا يزعم أحد أن كل الفرنسيين هم حفدة للغوليين القدماء، أو أن أصول البريطانيين جميعهم تعود إلى السلت والبكت. وحين يتحدث الأمريكيون عن «أسلافهم» فإن هؤلاء الأسلاف لا تقصر النسبة إليهم عن أن تشمل أجيال المهاجرين ممن أتوا بعد مستوطني زهرة النوار. والفلسطينيون العرب اليوم ليسوا كلهم حفدة للكنعانيين والفلسطينيين القدماء. بعضهم يهود غير دينه، وبعضهم تعود أصوله إلى عائلات عربية قدمت مع موجات الغزو المتلاحقة. ومهما كانت أهمية حجة الجينات فإن الزعم بأن أحدًا ما ليس له الحق في وطن معين بسبب عدم نقاء عنصره هو زعم عنصري، صفة من يأتي به العنصرية.

عالم خفايا الصهيونية

الفصل الثاني

ما هي الصهيونية؟

ظهرت عبارة «الصهيونية» لأول مرة في التاريخ في الكتاب الذي اصدره المفكر الصهيوني الألماني ناتان بيرنباوم ونشره عام ١٨٩٣ تحت عنوان «البعث الثقافي للشعب اليهودي في أرضه كوسيلة لحل المشكلة اليهودية» . وقد استعمل بيرنباوم لفظة «الصهيونية» بدلًا من عبارة «القومية اليهودية» التي كانت سائدة آنذاك في كتابات المنكرين والكتاب الصهاينة ، دعاة تأسيس الدولة اليهودية . وفي هذا الكتاب – كما في صحيفة «التحرر الذاتي» – أعاد بيرنباوم طرح الأفكار التي سبقه إليها عدد من دعاة

الصهيونية أهمهم:

١ – موسى هس ، مؤلف كتاب «روما والقدس» (١٨٦٢ .)بعد صدور هذا الكتاب مرحلة انعطاف هامة في تاريخ الدعوة الصهيونية للعودة إلى فلسطين واستيطانها وتأسيس «مملكة إسرائيل» لأنه:

أ. أول كتاب يؤلفه مفكر يهودي يدعو إلى غزو فلسطين (سبقت هذا الكتاب كتب كثيرة تدعو إلى استيطان اليهود في فلسطين ، ولكنها جميعًا لمؤلفين غير يهود . وسأتطرق إلى ذلك لاحقًا.

ب. أول كتاب يؤلفه مفكر يهودي لإعادة اليهود إلى «وطنهم التاريخي» الافتراضي يمتد من السويس إلى القدس، ومن الأردن إلى البحر الأبيض المتوسط، وذلك «تحت رعاية فرنسا حامية اليهود».

ج. يعد هذا الكتاب مرحلة انتقال الدعوة الصهيونية من أيدي غير اليهود وأقلامهم إلى اليهود.

٢ – ليوبنسكر ، مؤلف كتاب «التحرر الذاتي» (١٨٨٢).

بينما يعد كتاب هس السابق ذكره مرحلة الدعوة الصهيونية من أقلام غير اليهود إلى اليهود ، فإن كتاب بنسكر بداية مرحلة انتقال الصهيونية من الدعوة إلى الحركة . ويتفق معظم المؤرخين والدارسين للحركة الصهيونية على اعتبار عام ١٨٨٢ عامًا فاصلًا في تاريخ الحركة الصهيونية لأن هذا العام شهد التطورات التالية:

أ. تولت مجموعات من الصهاينة أنفسهم تحقيق الفكرة الصهيونية عبر تنظيمات سياسية.

ب. بدأ صراع طويل بين اليهود الصهيونيين واليهود غير الصهيونيين الذين رفضوا الانفصال عن مجتمعاتهم والتعلق بأفكار قومية برجوازية شوفينية.

ج. ظهرت أولى المجموعات الصهيونية السياسية الداعية إلى الهجرة إلى فلسطين واستيطانها تدريجيًا تمهيدًا للاستيلاء عليها . وأهم هذه المجموعات «أحباء صهيون» و«بيلو».

أحباء صهيون

جماعة صهيونية تأسست عام ١٨٨٢ من ٢٥ طالبًا روسيًا في جامعة «خاركوف» معظمهم من الطلاب القاشلين دراسيًا والمهددين بالفصل من الجامعة . أصدرت منشورات تتغنى بحب فلسطين وجبل صهيون والغيرة عليهما ، وتدعو إلى الهجرة إلى فلسطين لاستيطانها واستعادة «مجد بني إسرائيل» . وفي العام نفسه تشكلت أيضًا جماعة صهيونية أخرى تحمل الاسم ذاته في جامعة أوديسا بروسيا.

(بيلو)

هذه الكلمة (كالعادة في اللغات الأجنبية) تتشكل من الأحرف الأولى لأربع كلمات بالعبرية هي «بيت يعقوب تعالوا لنرحل» . وقد نشرت نداءها الأول من

مركز تجمعها في جامعة القسطنطينية عام ١٨٨٢ ، واعتبر الصهاينة فيما بعد هذا النداء نموذجًا للدعوة الصهيونية . إذ جاء فيه:

«دعوة يهود المنفى للنهوض من سباتهم الذي استمر ألفي عام . وغسل العار الذي لحق بالأمة اليهودية منذ دمار الهيكل . والحصول على موطن لليهود في أرضهم فلسطين . وإقامة مركزهم الأساسي في القدس ، واقناع السلطان العثماني بمختلف الوسائل ، وإغراؤه بعدالة قضيتهم وكسب دعمه ورعايته.

وفي العام ذاته تأسست جمعيات صهيونية مماثلة في النمسا والمانيا وغيرهما ، إلا أن هناك اتفاقًا عامًا على أن «أحباء صهيون» و« «بيلو» هما الجماعتان الرائدتان في هذا المجال ، وان كان بعض المؤرخين يعتبر إحداهما سابقة على الأخرى بعدة أشهر

ويضفي كتاب بنسكر «التحرر الذاتي» المنشور عام ١٨٨٢ أهمية إضافية على هذا العام أيضًا لسببين:

أ. كان ليوبنسكر ، الطبيب الروسي ، المثقف والمندمج تمامًا في المجتمع الروسي أحد الدعاة اليهود الروس إلى الاندماج في مجتمعهم ، وكان معجبًا بالثقافة الروسية ، كما كان عضوًا نشيطًا في «جمعية نشر الثقافة الروسية بين يهود روسيا» ، وقد ظل كذلك بالفعل حتى انفجار أعمال العنف والدمار ، وما تخللها من مذابح ضد اليهود أثر اغتيال القيصر الروسي عام ١٨٨١ . فانسحب من الجمعية الثقافية ، وبدأ يبحث عن «حلول جديدة للمسألة اليهودية » خارج الاندماج في المجتمعات المحيطة بهم .

ب. تضمن هذا الكتاب أول برنامج عملي يدعي الحل النهائي للمسألة اليهودية ، وأخذت به على الفور الجماعات الصهيونية المنظمة (أحباء صهيون) واعتبرته كتابها المقدس ، كما تلقفت الكتاب أيضًا الجماعات الصهيونية الأخرى في النمسا وألمانيا.

وجاء في الكتاب:

«اليهود قوم شبح لا وطن لهم، وبما أن إنسانية تكره الأشباح، لذا تقوم الشعوب باضطهاد اليهود. إن حل المسألة اليهودية يكمن في تحويل اليهود من قوم شبح إلى قوم طبيعي، وهذا يتطلب بالضرورة إقامة وطن لهم في مكان ما.. اللاسامية لا يمكن أن تزول طالما أننا لا نملك وطنًا قوميًّا خاصًّا بنا، لأن شعور الكراهية ضد اليهود متأصل في النفس البشرية. لذا ينبغي إنقاص عدد اليهود في كل بلد ضمن الحدود التي تمليها الشروط الاقتصادية للسكان الأصليين.

ولا ينبغي التفكير بهجرة الشعب (اليهود) الكاملة، وإنما تهجير الفائض (الجماهير الفقيرة) من السكان. ويجب أن تتولى هذا الأمر منظمة صهيونية مركزية نواتها الجمعيات القائمة حاليا»، وذلك من خلال مؤتمر عام تعقده هذه الجمعيات وتقرر فيه إنشاء شركة مساهمة للمتمولين اليهود، تكون مهمتها شراء قطعة من الأرض يمكنها استيعاب بضعة ملايين من الفائض اليهودي في أوروبا.

إلا أن الجمعيات التي اعتبرت هذا الكتاب بمثابة التوراة الجديدة، أخذت على بنسكر دعوته إلى الاستيطان في أي مكان، ونقل فكرة الرب والتوراة إلى هذا الوطن الجديد. ودخلت مجموعة أحباء صهيون في خاركوف وأوديسا في حوار مع المؤلف لإقناعه بتبني فكرة استيطان فلسطين بالذات، وتحديدها هدفًا لهجرة اليهود وتأسيس دولتهم فيها. وعرضت هاتان المجموعتان على بنسكر رئاسة جمعيتها الموحدة مقابل تبني خيار فلسطين وطنًا لليهود. وما كاد يوافق على تبني استيطان فلسطين حتى أعلنه قادة الجمعية رئيسًا لجمعية أحباء صهيون الموحدة في أوديسا (١٨٨٣) على أن يساعده في توجيه أعمال الجمعية وإدارتها «موشي ليلنبولوم» الذي فيه أفكار بنسكر مع إضافة محيدة تتضمن اعتبار فلسطين وحدها وطن اليهود المقبل.

وبذلك أصبحت جمعية «أحباء صبهيون» الجمعية القائدة للدعوة الصهيونية فكرًا وممارسة، وسرعان ما انتشرت فروعها في أوروبا الشرقية والغربية، وأصبحت الدعوة إلى «مؤتمر قومي عام» أمرًا حيويًا بالنسبة لهذه الجمعيات لصياغة برنامجها المرحلي وأهدافها الإستراتيجية. وبالفعل انعقد هذا المؤتمر في مدينة «اتوفيتز» في بولنده عام ١٨٨٤.

ثم تلاه المؤتمر الثاني عام ١٨٨٧ والثالث عام ١٨٨٩ والرابع عام ١٨٩٠.

وفي المؤتمر الرابع نضجت الحركة الصهيونية، وبدأت تتمايز التيارات الفاعلة داخلها، وبرزت في هذا المؤتمر الذي انعقد في أوديسا عام ١٨٩٠ ثلاثة تيارات رئيسية:

أ .التيار العملي بزعامة «لينولوم» والذي دعا إلى الإستمرار في الهجرة إلى فلسطين وإنشاء المستعمرات والاستيطان فيها تحت أي ظروف وبأي شروط.

ب. التيار الروحي – الثقافي بزعامة «أحاد هعام» (الاسم رمزي ومعناه: واحد من الشعب، الاسم الحقيقي: أشر غينزبرغ) وكان هذا التيار يلح على ألوية العمل الثقافي والروحي بين اليهود، ويعتبر فلسطين مركزًا ثقافيًا روحيًا بالدرجة الأولى.

ج. التيار الديني الحرفي المشدودة إلى فلسطين بسبب مكانتها الدينية، إلا أنه ينتظر ظهور المسيح المنقذ الذي سيتولى تحقيق نبوءة التوراة بقيادة اليهود، والعودة بهم تحت رايته إلى فلسطين.

كان هذا عرضًا موجزًا وسريعًا للنشاطات الصهيونية في أوروبا الشرقية، وبعض فروعها التي تولى إدارتها وتوجيهها طلاب شرقيون يدرسون في جامعات أوروبا الغربية كجامعة فيينا وجامعة برلين، كالجمعية التي أسسها «ليوموتزكين» عام ١٨٩٠ تحت اسم «الجمعية العلمية للطلاب الروس اليهود» والتي انضم إليها

مشاهير القادة الصهاينة أمثال «حاييم وايزمن» و«شماريا ليفن» و«دافيد جاكوسن» وغيرهم.

أما في الشطر الغربي من أوروبا فقد تأخر تأسيس هذه الجمعيات عن الشطر الشرقي قرابة عقد من الزمن. وهناك كراس أصدره الصهيوني الألماني «بودنهايمر» بعنوان «أين نذهب باليهود الروس»؟ وأجاب عليه: «إلى فلسطين وجوارها في سوريا». ويعتبر هذا الكراس بمثابة الشرارة التي استقطبت أمثاله من الصهاينة للبدء في التنظيم. كما أصدر «بودنها يمر» ذاته نداء في أيلول عام ١٨٩١ بعنوان «يا صهيوني العالم؛ اتحدوا»! وتضمن هذا النداء مشروعًا لاستعمار فلسطين وتأسيس شركات تطوير الأراضي، ومد الخطوط الحديدية وغير ذلك من مقومات بناء الدولة.

وبشكل عام كان مشروعه مماثلاً لمشروع «اوليفانت» الإنجليزي الخاص باستعمار فلسطين يهوديا، وهو ما سيرد الحديث عنه لاحقًا. ونقطة الخلاف الرئيسية بين مشروع بودنهايمر الألماني وأوليفانت البريطاني، أن الأول دعا إلى ربط «دولة اليهود» العتيدة بالإمبريالية الألمانية ووضعها تحت حمايتها، في حين دعا الثاني إلى ربطها بالإمبريالية البريطانية ووضعها تحت حمايتها.

وما كاد «بودنهايمر» يلتقي مع «وولفسون» (الذي أصبح فيما بعد رئيسًا للمنظمة الصهيونية العالمية) في شباط عام ١٨٩٢ ويتم التعارف بينهما حتى اتفقا على تأسيس «نادي صهيون القومي اليهودي»، و«جمعية أحباء صهيون الألمانية» التي انضم إليها على الفور« بيربناوم» واتفق الثلاثة على الدعوة إلى مؤتمر صهيوني عام لصياغة الأهداف النهائية للصهيونية السياسية بشكل واضح، وجمع اليهود حولها، فوافقت على الفور جمعية إسرائيل الفتاة الألمانية التي تأسست في برلين عام ١٨٩٣.

وعن لقائه مع وولفسون كتب بودنهايمر في مذكراته

«وهكذا ولدت الصهيونية الالمانية».

وفي المؤتمر العام الذي انعقد في برلين عام ١٨٩٣ أقرت مشاريع تتضمن إنشاء منظمة صهيونية موحدة، وصندوق مالي وتشجيع الاستيطان اليهودي في فلسطين، وتنظيمه، وإحياء اللغة العبرية. كما جدد الدعوة لعقد مؤتمر قومي عام يضم جميع التنظيمات الصهيونية العاملة في ألمانيا.

وبالفعل انعقد هذا المؤتمر في مدينة كولون بألمانيا عام ١٨٩٦ وتبنى المؤتمر مشاريع وقرارات مؤتمر برلين، وأصدرها في كراس بعنوان «قضايا كولون».

وهكذا ولدت فعلًا الصهيونية الألمانية، وكانت قد سبقتها الصهيونية الروسية البولونية بعشر سنوات.



اليهودية الصهيونية ومعتقدها

▪▪▪▪▪

يخطئ من يظنّ أن الصهيونية اليهودية تعتقد بالإلحاد ، وأنّ اليهود الصهاينة ملاحدة ، والإلحاد هو إنكار وجود الإله الخالق ، ويخطئ كذلك من يظنّ أن لليهود الصهاينة عمومًا معتقدٌ واحد لا يختلف بين يهودي صهيوني وآخر ، هناك فروق نسبية في المعتقد بين أطياف اليهود الصهاينة ، فرق نسبيٌّ من حيث الكيف النوعي وليس من حيث المعتقد العام ونتائجه . فرق يمكن توضيح معالمه من خلال مقدمة هامة تتركّز حول أن المعتقد الحقيقي الكامل لليهودية الصهيونية فيما لو تمّ تعميمه بكل تفاصيله على اليهود الصهاينة فيمكن - إلى حدّ ما غير كبير بالتأكيد - أن يسبب بلبلة نفسية - فكرية ويثير تساؤلات بينية .

بمعنى آخر أن هناك تفاصيل وحذافير في العقيدة الصهيونية اليهودية ، وفي جوانب هامة منها محظورة عن عامة اليهود وعوامهم بالتحديد - كما أظنّ وأعتقدُ - والذين تمّ تمييزهم من حيث درجة استعدادهم لتقبّل كامل تفاصيل هذه العقيدة ونؤكد في مقالتنا هذه على الصهيونية كاختزال تاريخي للعقلية والنفسية اليهودية عمومًا مع ترك هامش - طبعًا - للأقلية اليهودية المعادية للصهيونية .

السؤال الذي أطرحه هو : هل صفوة اليهود الصهاينة وحاخاماتهم الذين يحوزون على تفاصيل التفاصيل من المعتقد الصهيوني اليهودي هم ملاحدة ؟ !

الجواب : كلا .. هم ليسوا ملاحدة ! أي أنهم لا يعتقدون بإنكار وجود الإله الواحد ! بينما في العامة من اليهود الصهاينة فتوجد فيهم عقيدة الإلحاد ، أي إنكار وجود الإله الواحد الخالق في قاسم مشترك مع معتقد أطياف أخرى من غير اليهود الذين يعتقدون بالإلحاد .

و طبعًا فالتمييز بين يهود غربيين وشرقيين لا يرتبط فقط بالأصل العرقي، وإنما التمييز نابع أساسًا من حقيقة أن اليهود الصهاينة يختلفوا فيما بينهم من حيث استعدادهم لتقبّل كامل تفاصيل وحيثيات العقيدة اليهودية الصهيونية ولذلك حصل هذا التفريق الذي ينظر له من قبل كثير منهم أنه تمييز عنصري وهذا التقسيم ليس تقسيمًا حازمًا مطلقًا، فتجد أنه في كل الشرائح اليهودية الصهيونية غربية أو شرقية من يحوز على كامل تفاصيل المعتقد اليهودي الصهيوني وأيضًا تجد في هذه الشرائح من حظرت عليه بعض التفاصيل من هذا المعتقد ، أي أنه يوجد تداخل وتشابك ينفي التقسيم المطلق بينهم ، والترقي في درجات المعتقد اليهودي الصهيوني يمكن أن تتوفر فرصته لكل فردٍ يهودي لديه الاستعداد لتقبّل ما يمكنه تقبّله من تفاصيل المعتقد الصهيوني مع العلم أن الدائرة اليهودية الأوسع وهي الماسونية تضمّ في نطاقها شرائح كثيرة من غير اليهود والذين يتمّ التعاطي معهم بتدرج وحسب استعدادهم لتقبّل جزء، أو كامل المعتقد الماسوني الذي هو في محصلته يهودي صرف مع العلم أن الصهيونية هي اختزال تاريخي ترشّح عن الماسونية اليهودية الخاصة .

الصهيونية اليهودية والماسونية اليهودية، وهما متوازيتان من حيث الاعتقادات الكبرى فهما لا تعتقدان بالإلحاد بل على العكس فالإلحاد يعتبر بمنظور الصهيونية اليهودية العليا غباء فكري وحمق علمي لا يجوز الاعتقاد به إلا للعامة يهودًا أو غير

يهود وهو مطلوب أساسًا ومشجّع عليه ومرحّب به ويتمّ الحثّ على الاعتقاد به ونشره ودعم كل ما يعززه .

الإلحاد هو بالنسبة لخلاصة المعتقد اليهودي معتقدٌ لابد للعامة سواءً من اليهود أو غيرهم أن يعتقدوه وهو شرط لازمٌ للترقي في درجات الماسونية العامة والخاصة كذلك والتي تشمل بوتقتها - أي الماسونية - مختلف الشرائح من مختلف الانتماءات الدينية والعرقية والقومية والسياسية والاجتماعية ، والماسونية تعتبر اكبر دائرة تحوي في نطاقها الملاحدة ممن يعتقدون بالإلحاد وينكرون وجود الإله الخالق أو يرفضوا أن يتقبلوا فكرة وجود الإله الخالق مهما كانت الدلائل والأدلة لوجود حاجز نفسي ودافع نفسي مبطّن بالفكر .

نعود لنؤكد أنه بنظرخاصة اليهود الصهاينة فإنّ الإلحاد يعتبر حمقًا فكريًا وغباءًا علميًا لا يجوز إلا للعامة بمن فيهم عامة اليهود .

اليهودية الصهيونية في ركيزتها العقيدية الأساسية ليست ملحدة .؟ أي: لا تنكر وجود الإله الخالق الواحد ولكنها بالمقابل تحوز على عقيدة الكفر المطلق ؟ والكفر لغة هو التغطية والستر ولذلك سمّي الفلاح لغةً - راجع قواميس اللغة العربية - كافرًا لكونه يقلب التربة ويغطي ويدفن البذور في الأرض - التراب .

أفضل ما يمكن أن نوضح به كلامنا هو بضرب المثل واستعارة المثال :

إبليس الشيطان هل إبليس الشيطان يعتقد بالإلحاد ؟ الجواب كلا طبعًا ما هو معتقد إبليس الشيطان ؟ : معتقده الكفر المطلق !

إبليس الشيطان لم يلحد أي: لم ينكر الاعتقاد بالإله الواحد الخالق ووجوده سبحانه، بل على العكس هو يعتقد يقينًا وبكامل الاعتقاد اليقيني بوجود الإله الواحد الخالق وبالمقابل هو يعتقد بالكفر المطلق ! كيف يكون ذلك ؟

عندما نفهم تمامًا مثال ونموذج إبليس الشيطان فحينها أيضًا سنستوعب تمامًا كيف يكون الكفر المطلق مقترنًا بعدم إنكار وجود الإله الواحد الخالق؟

﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ ﴾. سورة الأعراف.

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ﴾ [الكهف: ٥٠].

إبليس الشيطان في القرآن الكريم والمعتقد الإيماني الصحيح لكل الأديان السماوية التوحيدية هو الذي تكبّر على أمر الله تعالى وكفر بتغطية فطرته وسترها بستار الكبْر وتحدّى وأخذ العهد على نفسه بمحاربة بني آدم وإغوائهم وإبعادهم عن الصراط المستقيم عندما نفهم تمامًا مثال ونموذج إبليس الشيطان فحينها سنستوعب أيضًا وتمامًا ما هي أهمّ تفاصيل المعتقد اليهودي الصهيوني بحذافيره التي تحظر أهم أساسياتها عن العموم بمن فيهم شريحة من اليهود .

و للموضوعية الصرفة فعندما نضع مثال إبليس الشيطان كنموذج للتوضيح ونستقي لتوضيح هذا النموذج بما ورد في القرآن الكريم حوله فليس ذلك إلا من باب استعارة أفضل مثال للتوضيح وليس فقط لكوننا نعتقد بصدقية القرآن الكريم .

إبليس لم يلحد وإنما يعْتقد يقينًا بالله تعالى الواحد الذي لا شريك له ولكنه في صلب اعتقاده هذا كفر بتغطية وستر هذا المعتقد الفطري وأصرّ على استكباره ومحاربته لله ورسله والصراط المستقيم، وهنا تكمن عقيدة الكفر المطلق .

الكفر المطلق عندما يوجد الاعتقاد ويقترن بالإنكار، والاستكبار، والإصرار على التحدّي والمحاربة دون الركون للتواضع أمام حقيقة هذا الاعتقاد .

لنستقي بعضًا من الأمثلة من الماسونية اليهودية التي أفرزت الصهيونية السياسية

فيما بعد مع العلم أن الصهيونية السياسية التي تأسست علنًا بمساعي هرتزل ونشاطه هي الحديثة نسبيًا مقارنة بالصهيونية اليهودية كمعتقد قديم ـ نسبيًا أيضًا ـ لاقتران بذور هذا المعتقد وخطوطه العامة والخاصة مع اليهود منذ القديم النسبي .

لنستقي أمثلتنا من الماسونية اليهودية ونقارنها بموقف ونموذج إبليس الشيطان ـ سواءً اعتقدنا بأنّ الشيطان إبليس هو رمزيّ المثال أو واقعي وحقيقي .

في الماسونية اليهودية يرد كثير من الأمثلة التي تدلّل على أن من إحدى ركائز المعتقد اليهودي الصهيوني هو محاربة الله الواحد ورسله :

يقول الماسوني اليهودي أرجي ـ أن أسعفتني الذاكرة حول صحة الاسم ـ في أحد المحافل الماسونية في أوروبا :

(على الإنسان أن يتتصر على الإله، وأن يخرق السماوات ويمزّقها كالأوراق) .

و في أقوال أخرى صادرة عن نفس القوم :

(الماسونية يجب أن تنتصر على الأديان وعلى دين البدو المسلمين)

(الماسونية اليهودية تقع على عاتقها مسئولية ثورة إلحادية عالمية)

و هنا يتأكّد لنا أهمية الإلحاد ودوره عند اليهود الصهاينة وتشجيعهم عليه والحثّ على الاعتقاد به .

(كلّ من يهتمّ بالدين فيجب أنْ لا يُترك وشأنه)

(الماسونية اليهودية تشجّع دومًا على إشغال الغوييم بالملذات البهيمية)

(الماسونية اليهودية ستنتصر على الأديان، وستنتصر على الإسلام كما انتصرت على غيره؛ وستخلو المساجد من روّادها وستتحول إلى محافل ماسونية ترتفع فوق قبّتها نجمة داؤود) .

هذا الكلام الصادر عن الماسونية في أواخر القرن التاسع عشر يكذّبه الواقع ويصدّه وصدق الله تعالى : ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [التوبة] .

أليس هذا هو المعتقد الإبليسي نفسه الذي يجسّد نموذج الكفر المطلق الذي يعتقدونه بالاشتراك مع إبليس الشيطان .

أي أن اليهودية الصهيونية تجسّد تمامًا واقعيًا وموضوعيًا نموذج إبليس الشيطان وحتى أنه في أوضح الشروح التي تقدم تفسيرًا للإله يهوه ربّ اليهود الصهاينة والماسونية اليهودية فتشرحه على أنه هو إبليس الشيطان .

خاتمة :

الاعتقاد الإيماني الذي يعمل الصهاينة على تنشئة أجيالهم عليه هو الإيمان بالربّ يهوه الذي يعتبرونه ربّهم الخاص باليهود فقط دون غيرهم وطبعًا فواضعوا التعاليم عن لسان يهوه هم حاخامات الصهاينة قديمًا وحديثًا وقد اختزلوا في التلمود كل انحراف النفس اليهودية التي يدعوها يهوه لأن تكون عنصرية حتى النخاع .

الصهيونية السياسية :

وهذه ابتدعها تيودور هرتزل (١٨٦٠-١٩٠٤) وعكف في فيينا، منذ عام ١٨٨٢ على تشكيل المذهب حتى انتهى من إرساء منهجه عام ١٨٩٤ في كتابه عن «الدولة اليهودية» ثم وضعه موضع التنفيذ في المؤتمر الصهيوني العالمي الأول، بمدينة (بال) في سويسرا، عام ١٨٩٧ . هذه الصهيونية بالذات، بمبادئها ونتائجها، تشكل دون غيرها موضوع دراستنا... ومن المناسب هنا، ومنذ البداية، التعريف بها، بصورة دقيقة. ولكن وقبل ذلك نود أن نشير إلى أن تيودور هرتزل يخالف

الصهيونية الدينية في كونه، أصلًا، من دعاة «اللاادرية» ومعارضًا شديدًا لأولئك الذين يعرفون اليهودية على أنها ديانة. فاليهود، بنظر الصهيونية السياسية، «امة» قبل أي شيء آخر وعلى كل حال وعند دراسة القوانين الأساسية لدولة إسرائيل، سنلحظ الغموض في التعريف «اليهودي» والتذبذب المستمر بين التعريف المبني على العرق، وذلك المبني على الدين.

وتيودور هرتزل، الذي لم يكن شاغله الأساسي دينيًا، بل سياسي، فقد طرح قضية الصهيونية بشكل جديد. وقال بأنه - نتيجة لتأثره بقضية دريغوس - استخلص منها النتائج التالية:

١) اليهود عبر العالم، وفي أي بلد يقطنون، يشكلون شعبًا واحدًا.

٢) وقد كانوا هدفًا للاضطهاد، في كل زمان ومكان.

٣) وهم غير قابلين للاندماج في الأمم التي يعيشون بين ظهرانيها.

(وهذه من مسلمات العنصريين واللاساميين).

ويمكن تلخيص النتائج العملية التي استخلصها تيودور هرتزل، والحلول التي طالب بها لوضع حد نهائي لهذا العداء والتنافر - الذي هو كما رأى، تنافر دائم وقطعي - على النحو التالي:

١ - رفض الاندماج، الذي لم يكن مسموحًا به آنذاك في دول أوروبا الشرقية (وخاصة في الإمبراطورية الروسية على الأخص)، تحقق على نطاق واسع وبصورة متزايدة في أوروبا الغربية (وخاصة في فرنسا، حيث كشفت اللاسامية عن وجهها القناع المخزي بعد قضية دريفوس).

٢ - إنشاء «دولة يهودية» يتجمع فيها كل يهود العالم... وهي ليست «بؤرة»

روحانية أو مركز إشعاع للعقيدة وللثقافة اليهوديتين. وقد عرفت أوروبا في أواخر القرن التاسع عشر، عصر القوميات، قيام أفكار جديدة، بأسلوب غربي خالص، تمثل في تلك القومية التي برزت بكل زخمها في ألمانيا، وكان تأثيرها على هرتزل عميقًا، لا سيما وان ثقافته كانت جرمانية.

٣ – هذه الدولة، ينبغي إقامتها في مكان «خال» وهذا المفهوم المميز للاستعمار الذي كان سائدًا في تلك الحقبة، كان يقضي بعدم الأخذ بعين الاعتبار وجود مواطنين أصليين. وقد اعتمد هرتزل وقادة الصهيونية السياسية من بعده، على هذه المسلمة الاستعمارية التي سوف تتحكم بمستقبل المشروع الصهيوني كله، ودولة إسرائيل التي انبثقت عنه. أما المكان فلم يكن له أية أهمية في نظر تيودور هرتزل، الذي كان، كما ستتبين فيما بعد، امام أن يختار مقرًا لشركته الاستعمارية ذات الامتياز وجنين الدولة المقبلة، بين الأرجنتين وفقًا لاقتراح البارون هيرش وبين أوغندا، التي اقترحتها بريطانيا. وانه لأمر ذو مغزى أن يقوم هرتزل باستشارة «سيسيل رودس» الذي كان ينفذ مشروعه طابعًا استعماريًا، على حد تعبير هرتزل نفسه. غير أن هرتزل فكر بإيلاء فلسطين الأفضلية بين الأراضي المرشحة لغرس الدولة اليهودية فيها، من منطلق اهتمامه باجتذاب تيار «عشاق صهيون» وتقوية الحركة الناشئة عنه، واضعًا في خدمة أغراضه تراثًا دينيًا لم يكن هو شخصيًا ليؤمن به. وكان من صالحه، ولفائدة مخططاته، أن يظل الالتباس قائمًا، وابلغ مثال على مدى استغلال هذا الغموض، فقد ظهر بعد وفاة هرتزل في «تصريح بلفور» عام ١٩١٧، حينما أعلنت الحكومة البريطانية أنها تؤيد إقامة «وطن قومي لليهود» في فلسطين، لا يلحق الضرر بالسكان الأصليين، بينما استغل زعماء الصهيونية هذا التصريح في اتجاه إنشاء «دولة فلسطين اليهودية» بإلغاء كل وجود للسكان الأصليين، تأمينًا

لبسط سيادة الدولة الصهيونية على فلسطين كلها. هذا الطابع الاستعماري للصهيونية السياسية، بالإضافة إلى «أسسه الوهمية» وعواقبه الوخيمة المضرة بالشعب الذي قيده نير الاستعمار، المضرة أيضًا بالسلام العالمي، هو ما سيكون الموضوع الأساسي لتحليلنا الانتقادي.

الصهيونية الدينية:

يتم الانتقال من ميدان الكتابة إلى ساحة القضاء، ومن الجدل السياسي إلى المحاربة بالدين، انطلاقًا من بلبلة ثانية ومزج آخر، لا يكتفي معهما بالتسلل خفية من الصهيونية السياسية (تسلل يسخر الدين لخدمة السياسة، ويتيح إضفاء القداسة على سياسة معينة بقصد اعتبارها من المحرمات التي لا يجوز المساس بها) بل تستغل القرابة القائمة بين الصهيونية السياسية وبين الديانة اليهودية، من اجل توجيه تهمة مناهضة السامية إلى كل من ينتقد السياسة الصهيونية التي يتبعها القادة الإسرائيليون. وقد برزت أفكار أساسية حول اللاسامية في كتاب برنار لازار «اللاسامية، تاريخها وأسبابها» المنشور عام ١٨٩٤ ، في اجواء مشبعة بأحداث قضية دريغوس، ونشوء الصهيونية السياسية على يد تيودور هرتزل. وكان كتاب «برنار لازار» هذا ردًا على أوسع المؤلفات عن اللاسامية انتشارًا «فرنسا اليهودية» لكاتبه درومون (١٨٨٦).

وخلافًا لرسالة الهجاء المقذع الجاهل من (درومون)، تبدو دراسة (برنار لازار) حتى بنظر من لا يشاطره الرأي (وما يطرحه من فرضيات على البحث) قائمة على تحليلات تاريخية متأنية داعية للتأمل، تأخذ بعين الاعتبار مدى مسؤولية الطوائف اليهودية عما كان ينزل بها من اضطهاد، من جهة واستغلال اللاساميين الدنيء لظواهر انكماش هذه الطوائف وتفردها من جهة أخرى.

ويميز «برنار لازار» النزعة المعادية لليهودية الصادرة عن المسيحية، بشكل عـام، والمستمرة منذ القرن الرابع الميلادي حتى منتصف القرن التاسع عشر الأخير، عـن ظاهرة مناهضة السامية، وقد ظهرت هذه التسمية لأول مرة، في كتاب صـحفي مـن همبورغ هو «ولهلم مار» بعنوان «انتصار اليهودية على الجرمانية» عام ١٨٧٣. كما أن معاداة المسيحية لليهودية هي من مخلفات الفكر القسطنطيني العقائـدي والسياسي، الـذي تبنته الكنيسـة المنتصرة، الوارثـة لتقاليـد كهنـة المعابـد اليهوديـة، ولتقاليـد الإمبراطوريـة الرومانيـة، والتـي تحولـت، منـذ امتلاكهـا للسـلطة، مـن معانـاة الاضـطهاد، إلى إيقـاع الاضـطهاد بغيرهـا مـن الـديانات كالوثنيـة واليهوديـة، وقـد وجدت في اليهودية - التي كان التبشير قد حقق لها سعة الانتشار - منافسًا لا بد من دحره. وراحت تتهم بحماقة اليهـود بـانهم مـن ذاك الشـعب الـذي أصبح - برفضـه الاعتراف بان يسوع هو نفسه المسيح المخلص - في عداد «قتلة» الرب... لان مجمع نيقيا اعتبر المسيح من «جوهر» الله ذاتـه. وبـين برنـار لازار كيـف أن سـخافة تقوقـع الطوائف اليهودية وانغلاقها على أضيق وأدق تفاسير الشريعة قد وفر خلال تعاقب القرون، معطيات قابلة للاتهام بيسر.. وحول هذا، يقـول برنـار لازا في كتابـه المشـار إليه أعلاه:

- «لقـد انعـزل اليهـود وراء أسـوار كـان قـد رفعهـا حـول التـوراة (أسـدراس) والكتبـة الأولـون (دبـر سـوفريم) والفرنسـيون والتلموديـون.. ورثـة أسـدراس، ومشوهو الموسوية الأولى، وأعداء الرسل وهذا، خلافًا للموسـوية الحقيقيـة، التي اصطفاها وأكبرها ارميا، وأشعيا. وحزقيال، والتي وسع اليهود اليونانيون أيضًا من نطاقها الشمولي» (ص ١٤ و١٦) ويضيف برنار لازار (ص ١٣) قوله بـان خطـورة هذه العزلة قد تفاقمـت بسـبب طبـع فريـد يتسـم بـه اليهـودي، ويدفعـه إلى التبـاهي

بامتياز توراته، وبالتالي، إلى اعتبار نفسه فوق البشر ومغايرًا لباقي الشعوب وقد عمل على ترسيخ هذا المسلك، حدة القومية المنتشرة في أوروبا خلال القرن التاسع عشر، «إذ رأى اليهود في أنفسهم الشعب المختار المتفوق على الأمم كافة. وهذه حالة الشعوب، المتطرفة في تعصبها القومي، كالألمان والفرنسيين والبريطانيين في وقتنا الحاضر» (ص ١٣).

هذا الانغلاق على الذات لم يكن جديدًا.. فقد حارب الحاخاميون، «بتلموديتهم المتصلبة» جميع محاولات الانفتاح عبر العصور المتعاقبة. وينوه برنار لازار بمسعى ابن ميمون ، اكبر فلاسفة اليهود في جميع العصور، في تبيان التوافق بين الإيمان والعقل، مشيرًا إلى محاربة المتطرفين له بشراسة، واستنكار التلموديين والسبتيين لأهم مؤلفاته: «دلالة الحائرين» حتى أن الحاخام سليمان، من مدينة (مونبلييه) استنزل في عام ١٢٣٢، التحريم ضد قراء هذا الكتاب، وحصل على الإذن بحرقه. «وعمل التلموديون على أن يحصر اليهود دراساتهم في شريعتهم دون غيرها» وفي نهاية القرن، وبإيعاز من الحاخام الألماني عشير بن يحيال، اتخذ مجمع سينودس وهو المكون من ثلاثين حاخامًا، وقد انعقد في برشلونة برئاسة بن عزرا قرارًا بتحريم كل يهودي دون الخامسة والعشرين من العمر، يقرأ كتبًا غير التوراة والتلمود (ص٦٥). ويلخص برنار لازار، ما أدى إليه هذا التيار، فيقول: «لقد بلغوا هدفهم وعزلوا إسرائيل عن مجموع الشعوب».

وفي القرن السابع عشر، عادت النزعة نفسها، التي كانت قد حاولت خنق صوت ابن ميمون، إلى الظهور مع من تصدى، من بين التلموديين، لقتل الفيلسوف سبينوزا. وكذلك مع أولئك الذين هاجموا (مندلسون) في القرن الثامن عشر، لان ترجمة هذا الأخير للتوراة إلى اللغة الألمانية، جرت عليه عقاب الحاخاميون الذين

كانوا مصممين على احتكار التفسير التلمودي لشريعتهم، والحيلولة دون إفساح المجال أمام الشعب للوصول إلى التوراة. وسنرى ما عمدت إليه، حاخامية الأحزاب الدينية اليمينية المتطرفة اليوم في دولة إسرائيل، من حصر تلك القراءة «الانتقائية» المتعصبة للتوراة في النصوص التي تخدم غايات سياسية جديدة، ومن نجاحها في فرض توجيهاتها على الدولة. ويظهر برنار لازار صورة أخرى مزرية هي نتيجة للتقاليد الموروثة، فيقول: «من الحماقة جعل إسرائيل مركزًا للعالم وخميرة للشعوب، ومحركًا للأمم. ومع ذلك، فالى هذا يسعى أصدقاء اليهود وأعداؤهم، إذ هم يسرفون ويغالون في تقدير أهمية إسرائيل، سواء كانوا من أمثال (بوسييه) أو (درومون) (ص ١٩١). وفي «عرض تاريخ الكون» يشير بوسييه إلى يهودا بأنها مركز العالم. لذا، فإن لجميع أحداث التاريخ ولقيام الممالك وسقوطها سببًا وحيدًا محصورًا في إرادة رب وفيّ لأبناء إسرائيل، المكلفين بقيادة البشرية إلى مبتغاه الأوحد: هو مجيء المسيح المخلص المنتظر؟!

ويكفي للحصول على «بروتوكولات حكماء صهيون» قلب هذه التطورات المزيفة التي وضعتها أجهزة البوليس الروسي السرية، عشية انعقاد المؤتمر الصهيوني العالمي في بال، عام ١٨٩٧، بغية تعزيز الاعتقاد بوجود «تآمر» يهودي ماسوني، يرمي إلى إقامة مملكة عالمية، تمثل انتصار الشر في دنيانا. وهذا يسير في خط مواز تمامًا لمفاهيم بوسييه ونحن، حينما نتصدى مع برنار لازار للتيارات الفكرية اليهودية التي تبرز الاستثنائية اليهودية (وليس الشمولية)، وعقلية الفتح والسيطرة المستقاة من ملاحم يوشع وتمييز (أسدراس) العنصري، والميل لجعل إسرائيل مركزًا للعالم ولتاريخه... إنما نقصد في تبديد الغموض الذي يعتمد اللاساميون بثه، عند محاولتهم استنتاج صدور الفساد الصهيوني عن آفة أساسية مزعومة، كامنة في صلب

الديانة اليهودية. وتنطوي التقاليد الكثيرة في اليهودية كما هي الحال في المسيحية وفي الإسلام على تيارات متناقضة. وكما وجد في المسيحية «نزعة قسطنطينية» وتطرف، وفي الإسلام تطرف و«غلق باب الاجتهاد» فقد قامت عبر مسار اليهودية نزعات إلى التطرف والانغلاق والأصولية يستغلها اليوم اشد الصهاينة تعصبًا في يهودية لا يؤمن بها معظمهم. وما نشجبه أيضًا تلك القراءة الانتقائية للتوراة اليهودية، تلك القراءة التي تعزل اليهود عن بقية الشعوب. ولا ننسى أبدًا أن هناك في الأصولية اليهودية ومساهماتها في إعلاء شأن الإنسان مقابل نزعات الفناء تلك، بذور ازدهار الهي للحياة، عبر مسائل التحلف والوعد... المسائل التي يرى (سفر التكوين) أن جميع شعوب العالم مدعوة إلى تبنيها، «فالتاريخ إنما هو انبثاق دائم لكل جديد كل الجدة في حياة البشر، يضيئه الوعد بظهور المسيح في نهاية الزمان» . وكنت قد ذكرت في مكان آخر: «أن من كبريات مآسي الدولة الإسرائيلية الحالية خضوعها لأحكام الحاخامات المتطرفين، في وقت تحتاج فيه إلى رسل» . فبذرة النبوة بقيت، طوال قرون بعد نزول الكتب السماوية على كبار الأنبياء، حية في نفوس أولئك الذين يشير إليهم (جيرشون شولم) في كتابه المشهور عن: «كبرى تيارات الروحانية اليهودية» (نشر عام ١٩٧٧ في باريس). كغنوصية «فيلون» اليهودي. أي نزعته إلى كنه الأسرار الربانية، عرفت في الإسكندرية ملتقى أفكار الشرق واليونان. وفي ألمانيا نحا الحاخام «يهودا» منحى معاصره القديس «فرنسوا دسيز» في الإحساس بحضور الله والمحبة. وهذا من المذاهب «الحسيدية» (نسبة إلى حسيداي).

وفي أسبانيا، كان لقاء اليهودية بتصوف مسلمي الأندلس ومحاولاتهم الاتصال الذاتي والمباشر بالله... وهو ما يقربهم - كما يؤكد جيرشون شولم - من البوذية التبتية وروحانية الهندوس. وقد طرح هذا اللقاء أنضر ثمار اليهودية، ممثلًا في أوسع

عرض شامل للعقيدة اليهودية كتبه بالعربية ابن ميمون (أبو عمران موسى ١١٣٥-١٢٠٤) صديق الفيلسوف المسلم ابن رشد وتلميذه.

- «الزهو» (كتاب الإشراق) ألفه موسى الليوني في نهاية القرن الثالث عشر وجعل فيه حب الله محل الخشية من الله كما فعل معاصره قس كالبريا المسيحي يواكيم دي فلور. وأخيرًا آخر المذاهب «الحسيدية» الذي نشأ في بولونيا في القرن السادس عشر قريبًا من روحانيات سكان نهر الرين والمعلم ايكهارت، والذي ازدهر كذلك خلال التاسع عشر عبر «رسائل إلى اتباع حسيداي حول «نشوة الروح» مذكيًا في كل إنسان قبسه من الله« ثم شمولية الأنبياء الواسعة، التي بعثت في كتاب «الأخلاق» لسبينوزا نفحة قوية رغم قيود الشكلية الرياضية الديكارتية، كما كان الوعد بانتظار المسيح «المخلص» دافعًا لكارل ماركس في شبابه، فجعل من تآليفه نواة للنزعات الثورية طوال قرن من الزمان. وحتى رسالة (مارتن بوبر) الروحانية، التي استمرت خمسة قرون من الفردية القاتلة، حثتنا على التذكير بأن مركز «الأنا» كائن في الآخر «في البداية تكون العلاقة، ونحن نعيش في سيل من المبادلة الشاملة» ، والروح بنظره، ليست في «الأنا». بل في علاقتي بالآخر، وكذا الحال بالنسبة للحضارات فهي شبيهة بالحال لدى الأفراد: فهي لا تحيا ولا تزدهر إلا بإخصاب متبادل بينها. ويجد الإلهام الإلهي محكمًا له في العلاقة بالآخرين.

بالنسبة لهذه الأصولية الشاملة التي اتبعتها اليهودية منذ القدم، تشكل الصهيونية السياسية تعسفًا قوميًا واستعماريًا يدين بالتوجيه للقومية والنزعة الاستعمارية المنتشرتين في أوروبا خلال القرن التاسع عشر، كما أنها لا تستخدم القراءة الانتقائية والقبلية للتوراة، بتحول صريح عن صراط الله ، لتزوير مقاصدها السياسية وتمويهها.

المبحث الأول

الصهيونية والبهائية

في ظل حمى المطالبة بالحريات وحقوق الإنسان في العالم الإسلامي أطلت البهائية والقاديانية وغيرها من الفرق الباطنية برأسها من جديد.

وقد ظفر «البهائيون» في مصر، وهم شرذمة قليلون، بحكم صدر عن محكمة القضاء الإداري، بتاريخ ٦/ ٤/ ٢٠٠٦م، يتضمن الاعتراف الرسمي بديانتهم، وإثباتها في أوراقهم الرسمية وبطاقات الهوية وشهادت الميلاد.

الجدير بالذكر أنه سبق أن صدرت عن لجنة الفتوى بالأزهر فتوى في عام ٢٠٠٣م، تحظر أي ديانة أخرى غير الإسلام، والمسيحية واليهودية، كما صدر في مصر في الستينيات قرار جمهوري رقم ٢٦٣ لسنة ١٩٦٠م بحل محفلهم وتحريم نشاطهم.

وقد رفض علماء الأزهر قرار محكمة القضاء الإداري، وأكدوا أنه يمثل انتكاسة قضائية يجب التراجع عنها فورًا، لأن الإسلام لا يعترف بالبهائية، وهي دين مصنوع ضد الفطرة البشرية، ولهدم الأديان والأوطان.

ما حقيقة البهائية؟ وكيف ظهرت؟ وإلام تدعو؟ وما علاقتها بالاستعمار والصهيونية؟ هذا المقال الذي بين أيدينا يسلط الضوء على هذه الطائفة ودينها.

واحدة من الحركات الهدامة والديانات المنحرفة، والتي تعاونت منذ بداياتها مع

القوة الاستعمارية وعلى رأسها الصهيونية …إنها البهائية خرجت من رحم البابية سنة ١٢٦٠ هـ، وكلتاهما نبعتا من المذهب الباطني الشيخي ، تحت رعاية وصناعة الجاسوسية الروسية، والقوى الاستعمارية، ومباركة اليهودية العالمية، بهدف إفساد العقيدة الإسلامية وتفكيك وحدة المسلمين وشق صفوفهم، وصرفهم عن قضاياهم الأساسية، فالبهاء من رحم الباب خرج وعاث في الأرض فسادا، وكلاهما حملا وزر هذه النحلة الشاذة الخارجة على الإسلام بل وعن سائر الديانات السماوية الأخرى.

والبهائية ديانة مخترعة وطريقة مبتدعة، وحركة هدامه للأديان، استغلها الاستعمار لصالحه، وتلتقي مع الماسونية في هدفها من سلخ الناس عن أديانهم عن طريق شعارات خداعة كخدمة الإنسانية وتحقيق الإخاء والعدالة، ادعى مؤسسها النبوة، وإبطال الجهاد، وهو بغية المراد، للتمكين للمحتل في البلاد، وزعم- أخزاه الله- أن شريعة الإسلام قد نسخت بمبعثه.

مؤسسها:

«الميرزا» حسين علي بن عباس بزرك الملقب بـ «البهاء» ولد في قرية نور بنواحي مازندران بإيران، سنة ١٢٣٣ هـ.

ينتمي إلى أسرة يعمل أبناؤها بالمناصب المهمة في المصالح والوزارات الحكومية، وكان أبوه موظفًا كبيرًا في وزارة المالية، وأخوه الأكبر كاتبًا في السفارة الروسية، وزوج أخته الميرزا مجيد سكرتيرا للوزير الروسي في طهران، ونلاحظ أن أسرة حسين على علاقة وطيدة بالروس والإنجليز، وقد لعبت القوى الاستعمارية دورًا كبيرًا في تقوية الدعوات المنحرفة والأفكار الضالة في سبيل سلخ الشعوب عن

معتقداتها، وتوهين سر قوتها، وزرع القابلية للاستعمار فيها.

أشرب قلبه الفلسفة وأوتي الجدل

لم يتلق حسين علي تعليمه في مدرسة أو معهد، وإنما عهد به أبوه إلى من يعلمه تعليمًا خاصًا، ثم اعتمد على نفسه في المطالعة والقراءة، فقرأ بنهم كتب الصوفية والباطنية، والفلسفة، والأديان الوضعية كالبرهمية، والبوذية، والزرادشتية، فأشرب قلبه كثيرا من تصوراتها وأفكارها، وشغف بقراءة كتب فرقة الإسماعيلية، وأوتي الجدل.

نبذة تاريخية عن البابية ووليدتها البهائية

البابية نحلة ظهرت في القرن التاسع عشر الميلادي ببلاد فارس، منسوبة إلى الميرزا علي بن محمد رضا الشيرازي، الذي ادعى أنه باب الله أي الواسطة الموصلة إلى الحقيقة الإلهية، وروج له الروس على أنه هو المهدي المنتظر ، ثم وصل به الحال إلى ادعاء النبوة والرسالة مستغلًا فساد نظام الحكم، وجهل الناس بأحكام الإسلام، والتف حوله الأتباع والدعاة من غلاة الباطنية، وكان حسين علي من أبرزهم.

وبدأت البابية دعوتها سرًا، غير أن أمرها شاع، فقبضت السلطات في إيران على زعيمها الباب، وأعدمته استجابة لآراء العلماء والفقهاء الذين أفتوا بردته عن الإسلام، أما البهاء حسين وأخوه صبح الأزل الذي تولى زعامة البابية بوصية من الباب نفسه، فقد تم نفيهما إلى بغداد، ليصبح البهاء حسين وكيلًا عن أخيه يحيى صبح الأزل ونائبا عنه في تصريف أمور البابية، لكنه بدأ في تنفيذ خطة للاستقلال بالزعامة، انتهت بحجب أخيه عن الناس، والإستئثار بالأمر دونه.

ثم نفي البهاء حسين وأخوه صبح الأزل ثانيا من بغداد إلى أدرنة في إبريل ١٨٦٣م، ومكثا هناك نحو أربع سنوات ونصف، وطد البهاء خلالها علاقاته بيهود أدرنة بسالونيك، ونشط ببث دعوته بين العامة، وزعم أنه هو الوريث الحقيقي للباب علي محمد الشيرازي، فالتف حوله أتباعه، وسموا بالبهائية، على حين بقيت مجموعة أخرى تتبع أخاه فسميت بالأزلية أو البابية، وأدى هذا بطبيعة الحال إلى احتدام الصراع بين الإخوة، وتنافسا المناصب والألقاب، حتى حاول البهاء قتل أخيه أزل، والفتك بأتباعه فتكًا ذريعًا.

من أرض السر في سالونيك إلى عكا أرض التأسيس:

ولما أدركت الدولة العثمانية خطرهما قررت نفيهما، فنفت يحيى صبح الأزل إلى قبرص، ومات ودفن بها بعد أن أوصى بالخلافة لابنه الذي انفض من حوله الأتباع بعد أن تنصر، وانتقل في الضلال من ركن إلى ركن، في حين نفت البهاء حسين ومعه بعض أتباعه إلى عكا سنة (١٢٨٥ هـ - ١٨٦٨ م) حيث لقي حفاوة بالغة من اليهود الذين أحاطوه بالرعاية، وأضحت عكا منذ ذلك التاريخ مقرًا دائمًا للبهائية ومكانًا مقدسا لهم.

البهاء يؤسس في عكا بمؤازرة اليهود:

أغدق اليهود على البهاء الأموال، وأحاطوه بالرعاية والحماية، وسهلوا له الحركة، فاستغل الفرصة في نشر دعوته وكسب الأنصار والأتباع، وأبطل شرعية الباب، وزعم أن الباب لم يكن إلا نبيًا مهمته التبشير بظهوره، ثم أصيب البهاء في آخر حياته بمرض عضال، فاضطر ابنه عباس عبد البهاء إلى حبسه حتى لا يراه الناس، وتحدث باسمه إلى أن هلك في (٢من ذي القعدة ١٣٠٩هـ - ١٨٩٢م)

وخلفه ابنه عباس في رئاسة البهائية.

أهم عقائد البهائية وطقوسها وشعائرها:

خليط غير متجانس من أديان ونحل وآراء فلسفية مختلفة يلفها الغموض والتعقيد، أخرجها البهاء في قالب غريب يثير الضحك ولغة ركيكة سماه الكتاب الأقدس، وسماه وحيا، وصدق: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ ﴿١٢١﴾﴾ [الأنعام].

ومن أبرز عقائدهم وطقوسهم:

١- الحلول والاتحاد، فقد ادعى الباب أن الله سبحانه وتعالى بعد ظهوره في الأئمة الاثنى عشر ظهر في شخص أحمد الأحسائي الذي كانت له مكانة في محافل العلم بكربلاء والنجف وإيران، واتهم بتأليه علي ، وكان ينكر البعث بالأجساد، ويسمى أتباعه الشيخية، ثم ظهر الله -سبحانه وتعالى عما يقولونه علوًا كبيرًا، في كاظم الرشتي ثم ظهر في شخصه، وكذلك ادعى بهاء الله الألوهية بعد ادعائه النبوة وقبل ذلك ادعى أنه المهدي، وهذا التطور في دعواه يظهر كذبه.

٢- القول بقدم العالم، بمعنى أن العالم صدر عن الله صدور المعلول عن العلة، كما يقول بعض فلاسفة الدهريين القدامى.

٣-إنكار البعث، وهم يؤولون يوم القيامة بأنه ظهور البهاء، كما ينكرون الجنة والنار، ويعتقدون أن الثواب والعقاب إنما يكونان للأرواح فقط.

٤-إنكار معجزات الأنبياء، وحقيقة الملائكة، والجن.

٥- ادعاء الوحي، ووضع كتب لمعارضة القرآن زاعمين أنها أفضل منه، من مثل

الكتاب المقدس للبهاء نفسه يضاهي به كتاب الله، ويتصف بالركاكة والضحالة والعبث، ويدعو إلى السخرية.

٦- يزعمون أن دين الباب ناسخ لشريعة محمد ، وينكرون ختم النبوة بمحمد ومعنى خاتم النبيين عندهم خيرهم.

٧- الإسراف في تأويل القرآن شأنهم في ذلك شأن الباطنية لترويج بدعتهم.

٨-تقديس عدد ١٩ ، لأنه حاصل من جمل كلمة واحد أو كلمة وجود، وهو حساب يهودي، والسنة عندهم ١٩ شهرًا، وكل شهر ١٩ يومًا، مخالفين السنة الكونية والشرعية المتمثلة في قوله سبحانه: أن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرًا في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض.

٩- عباداتهم :الصلاة عند البهائيين تسع ركعات ثلاث مرات، والوضوء بماء الورد وإن لم يجد، فالبسملة: بسم الله الأطهر الأطهر خمس مرات، وقبلتهم وحجهم إلى البهجة بعكا بفلسطين حيث البهاء المقبور هناك، ويقولون بإبطال الحج إلى بيت الله، بل التوصية بهدمه عند ظهور المقتدر من أتباعهم، ولا يجيزون الصلاة جماعة إلا في صلاة الجنازة.

١٠-توحيد الأديان، وهي من أبرز أفكار الماسونية العالمية، وهم يرون ضرورة توحيد جميع الأديان في دين واحد هو البهائية، وقد صرح بذلك عباس فقال :إنه يريد أن يوحد بين المسلمين والنصارى واليهود، ويجمعهم على أصول ونواميس موسى- عليه السلام- الذي يؤمنون به جميعًا كتاب عبد البهاء والبهائية ص ٨٧، ٩٣ أليست هذه البدعة هي اليهودية نفسها لبست لبوس البهائية، وألصقت نفسها بالإسلام، لهدمه؟

١١-هدم الأوطان واللغات القومية: وعلى غرار توحيد الأديان أيضًا إلغاء

فكرة الأوطان تحت دعوى فكرة الوطن العام ، والدعوة إلى وحدة اللغة التي لم تكن إلا وسيلة خادعة لفصل الأمم عن تراثها وتاريخها وحضارتها، وإلغاء شخصيتها، والقضاء على مقوماتها، وبخاصة الأمة الإسلامية حتى يسهل على المستعمرين إخضاعها والسيطرة عليها، كتلك التي تسمى اليوم بالعولمة وفرض الثقافة المادية والقيم الغربية على شعوب العالم!

١٢-إسقاط تشريع الجهاد وتحريم حمل السلاح وإشهاره ضد الأعداء خدمة للمصالح الاستعمارية، ودعوتهم هذه قضاء على الأمة الإسلامية، وقتل لروح الكفاح والمقاومة فيها، ودعوة إلى الذل والاستسلام للمستعمرين والغاصبين، وهو من أهم الأغراض التي صنعت لها هذه الفرق المنحرفة كالبهائية والقاديانية.

ولسنا بحاجة إلى نقد هذه المبادئ، لتفاهتها، ولأن بطلانها ظاهر لا ريب فيه، فالبهائية - كما ترى - دين مخترع ملفق يحتوي على أخلاط وأوهام وهلوسات نفسية، وأفكار ومبادئ أريد بها خدمة المستعمرين والتمكين لهم كما أسلفت.

الأزهر يحكم بردة البهائيين

هذا وقد أصدرت لجنة الفتوى بالأزهر فتوى في شهر ديسمبر من عام ٢٠٠٣م، تعلن أن الإسلام لا يقر أي ديانة أخرى غير ما أمرنا القرآن باحترامه، فلا ينبغي، بل يمتنع أن تكون في مصر ديانة غير الإسلام والمسيحية واليهودية، لأن كل ديانة أخرى غير مشروعة ومخالفة للنظام العام.

ووصفت الفتوى المذهب البهائي بأنه وأمثاله من نوعيات الأوبئة الفكرية الفتاكة التي يجب أن تجند الدولة كل إمكاناتها لمكافحته والقضاء عليه.

واستند المجمع في فتواه إلى فتاوى سابقة لكبار علماء الأزهر، وعلى رأسهم

الشيخ جاد الحق علي جاد الحق وفتوى الشيخ حسنين مخلوف مفتي الديار المصرية الأسبق التي تؤكد أن من يعتنق البهائية مرتد عن الإسلام وذلك لفساد عقيدته وخروجها على ماهو معلوم من الدين بالضرورة، ووصفت الفتوى الجديدة البهائية بأنها مذهب هدام.

علاقة البهائية بالصهيونة والاستعمار

إن علاقة البهائية بقوى الاستعمار-كما أسلفت- قديمة وحميمة ووطيدة، وقد رأيت كيف أن الروس أشرفوا على حملها ووضعها ورضاعها، ورعوها وهي في مهدها، ثم كفلها الإنجليز، واحتضنها اليهود الذين توطدت صلتهم بها في أدرنة ثم في فلسطين، وعاش جميع زعماء البهائية الذين تتابعوا على قيادتها في أحضان القوى الاستعمارية، وقد تجول عباس عبد البهاء الذي تولى أمر البهائية عام ١٨٩٢م في أوروبا وأمريكا، واستضافته الكنيسة الإنجيلية والمحافل الماسونية والبيع اليهودية، وشكل محافل بهائية في جميع أنحاء أوروبا بمساعدة اليهود والمستعمرين، وبنى علاقات مع جمعية (تركيا الفتاة) التي تدعو إلى القومية الطورانية، وعزلت فيما بعد السلطان عبدالحميد.

واستقبل عباس بنفسه الجنرال اللنبي بعيد سقوط فلسطين بحرارة، وحصل منه على وسام فارس الإمبراطورية البريطانية، وعباس عبدالبهاء هذا حضر المؤتمرات الصهيونية، وأيد حق اليهود التاريخي والديني المزعوم في أرض فلسطين، وعندما مات سار في جنازته الحاكم الإنجليزي الصهيوني لمدينة القدس، وتولى أمر البهائية من بعده ابن بنته شوقي أفندي، ولقبه ولي الله، وعاش الآخر برعاية الصهيونية، ونشطت حركته بعد قيام دولة إسرائيل، وأنشأ بمساعدة الكيان اليهودي أهم مركز ديني بهائي في العالم، وذلك في حيفا على جبل الكرمل في إبريل ١٩٨٣، أطلقوا

عليها اسم بيت العدل، يديره تسعة بهائيين يتم انتخابهم، ويزوره البهائيون دون انقطاع.

وفي سنة ١٩٦٨م عقد البهائيون مؤتمرهم في فلسطين المحتلة، وجاءت قراراته موائمة للمخططات، والرؤى الصهيونية.

وما يزال البهائيون في فلسطين المحتلة يعاملون معاملة اليهود منذ قيام الكيان الصهيوني على أرض فلسطين، وترعى معابدهم ومحافلهم ومراكزهم، وتصان وتدعم كما ترعى المعابد والكنس اليهودية، ويساند الإعلام اليهودي البهائية، ويبرزها على أنها حركة رائدة في مجال الفكر الإسلامي.

هدف اليهود من رعاية الفرق الباطنية

وهدف اليهود من رعاية البهائية وسواها من الفرق الباطنية شق صف المسلمين في فلسطين بزرع الفرق الباطنية التي تنتسب إلى الإسلام، وكف المسلمين عن ذروة سنام الإسلام وهو الجهاد في سبيل الله، وتشويه صورة الإسلام الحنيف، وبلبلة أفكارهم، وزعزعة عقائدهم، وبث السموم لتوهين الثوابت في نفوس المسلمين.

خذوا حذركم!

وختامًا فقد تبين لكل ذي بصيرة أن هذه الفرقة وأخواتها الباطنيات سليلة نحل شاذة خبيثة، ابتليت بها الأمة الإسلامية منذ أمد بعيد، ونبتة غريبة تعيش في ظل الاستعمار وبأمواله وجاهه، وتعمل لخدمة مصالحه وتحقيق مآربه، وتدور في فلك التآمر اليهودي الحاقد على الإسلام، والذي تظهر آثاره كيدًا ومكرًا بالأمة ودينها وقضاياها، ﴿وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾ [الأعراف:٥٨] .

والخطير في أمر هذه الطوائف أنها تستغل هذه المرحلة الحرجة التي تمر بها الأمة

اليوم، لتحقق مكتسبات قانونية وسياسية، ولتهدم، وتخرب الأديان والأوطان، وتسمم العقول والأفكار، وهي تستظل بمظلة الشرعية وتستغل شعار حرية الدين والرأي، والتعبير، وحقوق الإنسان، وهذه المصطلحات الخادعة، والشعارات البراقة التي ترفع اليوم، ومن ورائها أمر يراد.

وبناء عليه فإن على الحكومات والدول الإسلامية- لتحفظ نفسها ومصالحها، ولتحفظ دينها وشعوبها وأوطانها- الحذر واليقظة التامة تجاه هذه الحركات الباطنية الهدامة التي تلبس لباس الثقة، وتتسلل بخفاء ودهاء عظيمين، لتنخر في جسم الأمة، وتمزق وحدتها، وتخدم أعداءها.

هذا ولا تقع المسؤولية على عاتق الحكام وحدهم، بل يشاركهم الجزء الأكبر من المسؤولية الدعاة والعلماء، والمربون، والإعلاميون، والخطباء، وأئمة المساجد ومدرسو الجامعات والمدارس وعامة أرباب الأقلام، وهؤلاء يقع على عاتقهم تفنيد شبهات البهائية والقاديانية وشهود يهوه والماسونية وسواها من الفرق الباطنية والدعوات المنحرفة، وفضح أساليبهم في التسلل إلى داخل المجتمعات الإسلامية، وكشف زيفهم وضلالهم، حتى لا ينطلي باطلهم على الناس، وهذا يقتضي دراسة هذه الفرق المنحرفة، ومعرفة كل ما يتصل بها غير انه يجب التزام الدقة وعدم المبالغة أو التقول، وتلقي المعلومات من مصادرها الصحيحة، والرجوع إلى كتبهم ومنشوراتهم نفسها، وهي حافلة بترهاتهم وشاهدة على انحرافهم وعبثهم.

الفرقة الناجية

إننا نعيش في زمن تتوالد فيه الفرق وتنمو كما ينمو الدود، وتتكاثر الأسماء والعناوين والرايات والشعارات، ويختلط الحابل بالنابل وهذا يوجب علينا- إذا أردنا السلامة والعافية- معرفة الفرقة الناجية المتمسكة بكتاب الله تعالى وسنة نبينا

محمد والاعتصام بهما، وهي لا تعرف باسم أو ادعاء، ولكن لها صفات وشروط تمتحن بها، فإذا انطبقت عليها فتمسك بها، وعض عليها بالنواجذ، امتثالًا لقوله تعالى:

﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦ﴾، وقوله ﷺ: **«من يعش بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين»**، وغير ذلك من الأحاديث الصحيحة التي تدل على التمسك بالكتاب والسنة وبالعلماء بالكتاب، والسنة الأتقياء الأنقياء عن الشبهة والحرام.



المبحث الثاني

إسرائيل التوراتية وإسرائيل الصهيونية الحالية

يتخذ استخدام الحجج التوراتية أبعادًا جديدة في هذه المرحلة من تاريخ الدولة الصهيونية.. ويمكن تسمية هذه المرحلة بمرحلة الصهيونية العسكرية ففي الوقت الذي تنفق فيه إسرائيل ـ وفقًا لتقرير البنك الدولي ـ ثلاثين بالمئة من صافي ناتجها القومي، على جهازها العسكري (على سبيل المقارنة) فإن معدل مثل هذا الانفاق لدى دولة حلف الاطلسي لا يتعدى ٤ ٪ ... وفي وقت بات الهدف المعلن لهذه العسكرية الضاربة، ليس الدفاع عن إسرائيل، بل تفتيت جميع الدول العربية استنادًا لتصريح آرييل شارون نفسه، وطبقًا لمشروع الحركة الصهيونية كما سنرى في الصحفات القادمة،... في هذا الوقت، يجري الاستناد إلى نصوص توراتية لتبرير أمرين في أن واحد:

- التوسع المستمر في الحدود.
- والطرق التي تتبعها الدولة في التقتيل والإرهاب.

وهذه الواقعة في حد ذاتها، ليست جديدة . فقد سبق لبن غوريون في عام ١٩٣٧.

أنّ رسم حدود إسرائيل مستندًا لنص «توراتي» يقضي بأنّ تضم «أرض إسرائيل» خمس مناطق:

١ - جنوب لبنان، حتى نهر الليطاني، (أو ما يسميه بالجزء الشمالي من إسرائيل الغربية).

٢ - جنوب سوريا.

٣ - شرقي الأردن (أو ما يعرفه اليوم بالأردن).

٤ - فلسطين (التي يدعوها بأرض الانتداب البريطاني).

٥ - سيناء.

ووفقًا لهذا المخطط، يفترض أن تمر الحدود الشمالية بخط عرض مدينة حمص السورية، التي ماثلها بمدينة حماة، المشار إليها في (سفر الأعداد) كحد شمالي لأرض كنعان. وثمة صهاينة آخرون، «توراتيون» متحمسون ظاهريًا فقط، يطابقون بين حماه وحلب، بينما يجعلها غيرهم في تركيا.. أما الحاخام «أدين شتنسالز»، المقرب من حزب «شلي»، فقد طالب خلال ندوة كان «سارتر» قد عقدها في إسرائيل، «بحقوق تاريخية» لليهود في جزيرة قبرص - وفي عام ١٩٥٦، أعلن بن غوريون، وسط تصفيق مجلس الكنيست وتهليله أن سيناء كانت تشكل جزءًا من مملكة داوود وسليمان. وبعد قيام الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفييتي، خلال الهجوم على قناة السويس، بعملية كبح الجماح، أرجىء البحث في تلك الجغرافية التوراتية إلى أن طغت على سطح الأحداث عام ١٩٦٧، وحيث حددت أرض الميعاد على الشكل التالي: نهر الفرات ونهر مصر (حسب سفر الأعداد) - وهو الأخير - بين أن يكون: نهر النيل (ولكن اي فرع منه؟) أو وادي العريش، وفي ظل هذا المفهوم المطاطي للحدود، يستعان دائمًا بالتوراة لإضفاء الشرعية سلفًا على اي عدوان مبيت أو لتبرير اي الحاق أو ضم للأراضي. وفي المرحلة الراهنة من التوسع الصهيوني تم إشراك الخيال المريض المهيمن على حاخامات «الأحزاب الدينية» من غلاة

المتعصبين للغزو نظرًا لمساعدتهم في تبرير اشد مطالب المتطرفين تعسفًا واستبدادًا. وليس من قبيل المصادفة أن يقرر بيغن خلال الحملة الدموية على لبنان، إيقاف رحلة شركة العال أيام السبت احترامًا للعطلة المقدسة. ومثل هذه الضمانات المقدمة للمتطرفين، تعوض بسخاء على صعيد المبررات الأيديولوجية: فلا يكفي ما تم احتلال من لبنان كأرض «قبيلة آشور» بل أضفيت القداسة على المذابح من اجل ضرورات القضية. ولم يكن تدمير مدينتي صور وصيدًا، ودك بيروت بالقنابل، ومجازر مخيمي صبرا وشاتيلا، امتدادًا لمذابح دير ياسين، التي ارتكبتها عصابة السيد بيغن (أرغون) عام ١٩٤٨، ولمذابح قبية، وكفر قاسم، وقتلة «الوحدة ١٠١» بقيادة ارييل شارون، بل وجد ذلك كله نصيبًا من أكاليل الغار... لان الدولة القائمة حاليًا في إسرائيل برسالة إسرائيل التوراتية، إنما تكرر الحركة المقدسة التي سبق لإسرائيل التوراتية أن قامت بها في استئصالها لشأفة الكنعانيين، بسلوكها اليوم مع العرب نفس السبيل الذي سلكته مع الكنعانيين وغيرهم من شاغلي هذه المنطقة السابقين: «إن مدن هذه الشعوب، الموروثة إليك من مولاك الرب، هي الوحيدة التي لن تدع مخلوقًا حيًا يعيش فيها... بل ستجعلها محظورة على الحثيين، والعموريين، والكنعانيين، والفريزيين، كما أمرك الرب مولاك». وفقًا لعزرا ونحميا وكما نصت عليه قوانين محكمة نورمبرغ العنصرية: يعتبر يهوديًا من ولد من أم يهودية (برهان عنصري)، أو من اعتنق الدين اليهودي (برهان لاهوتي) ولا يستطيع أن يفيد من «قانون العودة» ومن المزايا المترتبة عليه في دولة إسرائيل سوى من تنطبق عليه هذه المعايير. هذا إذن لا ينطبق فقط على مجرد تعريف عنصري، بل على تمييز عنصري لان الانتماء إلى مجموعة عرقية معينة - كما سنرى فيما بعد - ينطوي إما على امتيازات أو انتقاصات... والعنصرية لا تقوم على أي أساس علمي. فمن وجهة النظر البيولوجية، تبين عدم إمكان تطبيق النظرية القديمة حول «الدليل

الدماغي» وهي نظرية تميز بين ذوي الجماجم المستطيلة، وذوي الأحجام الأخرى. كما أن علم الوراثة الحديث الذي يرى أن لبعض «الجينات» أو المورثات تأثيرًا على خصائص الخليط الدموي، قد اظهر بطلان المدلول البيولوجي للجنس والسلالة. والأسطورة البالية في سفر التكوين (١٠/ ١٨/ ٢٧) استخدمت، كغيرها من الأساطير العنصرية، «لتبرير» الطبقية والتسلط أيضًا فأبناء نوح الثلاثة الذين «عمروا الأرض بنسلهم»، بعد خروجهم من الفلك، كانوا أصلًا: آسيويين (من سام) وأوروبيين (من يافث)، وأفارقة (من حام). وجرى تكريس الأخرين للعبودية والعنف. ورأت العصور الوسطى الاقطاعية في (حام) جدًا أعلى لعبيد الأرض، وفي (يافت) جد الأسياد، وفي (سام) جد العلماء، وهو يقف على رأس جميع الطبقات. ويؤكد «ليون بولياكوف» في كتابه عن (الخرافة الآرية الصادر سنة ١٩٧١ انه «وتمشيًا مع التقاليد العبرية (أو بالأحرى الحاخامية) فان للحرب ذاتها قيمة، حتى ولو لم تقم صراحة كحرب دفاعية.. وفي مسالك «الخلاص» هذه بلغنا في لبنان مرحلة ارفع من مرحلة حرب الأيام الستة بواسطة حرب لبنان هذه، كشفنا عن مدى قوتنا العسكرية... وإننا مسؤولون عن النظام في الشرق الأوسط وفي العالم على السواء». وأمام هذيان جنون العظمة هذا لدى قوميي إسرائيل وعسكرييها، نتبين صدق نبوءة ومخاوف أحد أوائل الصهيونيين:

«مارتن بوبر» وهو احد كبار مفكري عصرنا، وصاحب مؤلفات مثل: «الإيمان اليهودي» و«الديانة التوراتية» و«الإنسانية العبرية» و«إسرائيل والعالم»، وقد أشار في سنة ١٩٥٨، في رده على بن غوريون في القدس عام ١٩٥٧، قائلًا:

- «حينما انخرطت في الحركة الصهيونية قبل ستين عامًا قال لنا بن غوريون: أن فكرة المسيح المخلص هي حية وستحيا حتى مجيء المسيح. أجبته قائلًا: كم قلبًا من

قلوب هذا الجيل سيحتفظ بهذه الفكرة حية ومغايرة لشكلها القومي الضيق المقتصر على «عودة المنفيين»؟... ذلك أن فكرة المخلص، عند افتقارنا للتطلع إلى خلاص البشرية، والى الرغبة في المساهمة لتحقيقه، ليست إطلاقًا رؤيا الخلاص لدى أنبياء إسرائيل». وبوبر لم يكف طوال حياته كداعية صهيوني وحتى وفاته في إسرائيل، عن فضح انحرافات الصهيونية الدينية في المجال السياسي والقومي ويقول:

- «نتحدث عن روح إسرائيل، ونعتقد إننا لسنا كباقي الأمم.. ولم تكن روح إسرائيل أكثر من بوتقة تنصهر فيها هويتنا القومية، ولا أكثر من تبرير جميل لأنانيتنا الجماعية فقد تحولت إلى معبود لدينا نحن الذين رفضنا القبول بأي مولى غير سيد الكون، فنحن إذن كبقية الأمم نستقي معها من الكأس التي تنهل منها نشوتها».

- «الأمة ليست هي القيمة العليا. والأيديولوجيا أو الروح القومية، لن تكون مشروعة ما دامت تجعل من الأمة غاية بذاتها. أن اليهود ابعد من أن يكونوا امة، إنهم أعضاء جماعة عقيدة». وفي سعيه لتحديد السبب الجذري للانحراف في الصهيونية السياسية النابعة، بل من القومية الأوروبية في القرن التاسع عشر لا من اليهودية. والتي جعلت منها الصهيونية السياسية بديلًا للدين أو مذهبًا لعبادة الدولة - تلك المسماة: دولة إسرائيل. وحول هذا كتب بوبر:

- «لقد اقتلعت جذور اليهودية الدينية. وهذا هو جوهر الداء الذي ظهرت أعراضه في قيام قومية يهودية أواسط القرن التاسع عشر وهذا الشكل الجديد الذي اتخذته الرغبة في الأرض، إنما هو الخلفية البعيدة التي تخفي كل ما استقته اليهودية المعاصرة من قومية الغرب الحديثة. إذًا فما هو دور «اصطفاء إسرائيل في كل هذا الاصطفاء؟» أوليس هو نوعًا من الاستعلاء، بل إحساسًا بالقدر والمصير.. إحساس لا ينشأ من مقارنة بالآخرين، بل من نداء داخلي يحثه على إنجاز مهمة لم

يكف الرسل عن التذكير بها: «فإذا تفاخرتم بأنكم المختارون المصطفون، بدلًا من أن تحيوا في ظل طاعة الله، فان ما تفعلونه إنما هو الغدر والخيانة» ثم ختم بوبر مشيرًا إلى «أزمة القومية» في الصهيونية السياسية، الأزمة المفسدة لروحانية اليهودية، فقال:

- «كنا نأمل أن ننقذ القومية اليهودية من خطأ تحويل الشعب إلى معبود... فأخفقنا...»

و(مارتن بوبر) هو واحد ممن كان تعلقهم بأرض صهيون متقد الحماسة، وقد أوضح ذلك في رسالة كتبها عام ١٩٣٩ إلى غاندي، الذي كان قد تساءل عن سبب عدم شعور الصهيونيين بترابطهم من اجل محاربة الطغيان والاضطهاد مع اي شعب ينتمون إليه وفي أي موطن ولدوا فيه.. بدلًا من البحث عن «وطن قومي» آخر. أجاب (بوبر) بان العقيدة اليهودية لا تستطيع العيش إلا في نطاق تجمع طائفي تطبق فيه أحكامها الخاصة، فوق أرضها الخاصة: الأساسي، بنظرنا، ليس وعدًا بأرض، بل مطلبًا يرتبط تحقيقه بالأرض وبوجود مجتمع يهودي في هذه البلاد». كما أجاب هذا ما أجابه بوبر على غاندي القائل بان فلسطين تخص العرب، وبأنه من «الظلم واللا إنسانية فرض سيطرة يهودية على العرب»، فقال: - لا نريد انتزاع ملكياتهم، بل العيش معهم«. وحدد بحزم، في محاضرة في نيويورك عام ١٩٥٨، موقفه الثابت من قضية العلاقات مع العرب. وحسب رأيه فان «بعث الشعب اليهودي» يجب أن يمضي بموازاة «الاندماج بعالم الشرق الأدنى»، وبما يستبعد اللجوء إلى القوة: «اشد النظريات خطأً وفسادًا، هي تلك التي تزعم بان مسالك التاريخ إنما تشقها القوة».. القوة التي هي دائمًا: «تغليب لما هو دون إنساني على الإنساني».. «وخيانة لعقيدة الإيمان»... وأفدح الأخطاء بنظر بوبر، كان اعتبار إسرائيل «قطعة من العالم الغربي». وأشار في سنة ١٩٥٨، إلى أنه قدم منذ سنة

١٩٢١ فكرة إقامة اتحاد فيدرالي في الشرق الأدنى، يشارك فيه اليهود.

ولكن، «خلافًا لإقامة دولة ثنائية القومية أو مشاركة اليهود في اتحاد للشرق الأدنى، صدر القرار التعيس بتقسيم فلسطين.. وكانت القطيعة بين الشعبين، وبدايات الحروب». ويشير «بوبر» إلى انه ليس ضد العنف، من حيث المبدأ، ولا يعارض قيام دولة إسرائيل، لكنه يشدد - بعدما شهد الحربين الأولين بين إسرائيل والعرب - على أن السلام بين اليهود والعرب لا يمكن أن يحل بمجرد توقف الأعمال العدوانية. إذ لن يكون هناك سلام إلا بتعاون فعلي بين الطرفين».. «وإذا كان التفكير باشتراك إسرائيل في اتحاد فيدرالي في الشرق الأدنى، يبدو اليوم للكثيرين محالًا وغير واقعي، وهناك في المستقبل إمكانية لتحقيقه». وأقوال كهذه كانت ستكفي اليوم لان يعتبر بيغن وأعوانه مطلقو الصلاحية في المؤسسة الصهيونية صاحبها: بوبر، معاديًا لإسرائيل ومعاديًا للسامية.. «ومارتن بوبر» هو بحق أعظم نبي يهودي عاش في دولة إسرائيل منذ إنشائها.. ومن حسن الحظ أن هذا المسلك، يثبت وجوده بين الحين والآخر، رغم نتيجة التحكم بالتوجيه الفكري لدى النشء الإسرائيلي منذ دخوله في المدرسة، ولدى الجنود بواسطة الحاخامية العسكرية، ولدى الشعب بواسطة الدعاية الرسمية. فقد أمكن سماع صرخة صادقة، أثناء الهجوم الإسرائيلي الذي ارتكب المذابح في لبنان.. هي صرخة الأستاذ (بنيامين كوهين) من جامعة تل أبيب إلى (فيدال ناكيه) يوم الثمن من حزيران ١٩٨٢:

- اكتب إليك وأنا استمع إلى مذياعي الصغير يعلن بأننا على وشك تحقيق هدفنا في لبنان.. إلا وهو: توفير السلام لسكان الجليل.. أن هذه الأكاذيب الجديرة بغوبلز تكاد تذهب بعقلي... إذ من الواضح أن هذه الحرب الوحشية، والأشد وحشية من كل سابقاتها، لا علاقة لها البتة بمحاولة القتل في لندن، ولا بأمن الجليل. ترى،

أيستطيع يهود من أحفاد إبراهيم طالما كانوا ضحايا الجور إلى أن يصلوا إلى هذه الدرجة من الوحشية؟؟ الا يعني هذا أن أعظم إنجازات الصهيونية إنما هو نزع اليهودية من قلوب اليهود؟ إبذلوا أيها الأصدقاء، كل ما في وسعكم من اجل عدم تمكين البيغنيين والشارونيين من بلوغ غرضهم المزدوج: «التصفية النهائية (وهذه العبارة رائجة كثيرًا هذه الأيام..) للفلسطينيين كشعب. وللإسرائيليين ككائنات بشرية» .

إن هذه الإدانة هي بعنف إدانات الرسل الغابرين.. كتلك التي لعن فيها (ارميا) أولئك «الذين يتحدثون زورًا بإسمي لديك.. خطيئتهم أنهم يجلبون العار لإسرائيل..» (ارميا: ٢٩/ ٢١-٢٣). أو تلك التي أدان بها (ميخا) قادة إسرائيل بقوله: «اسمعوا إذن، يا قادة يعقوب، يا قضاة دار إسرائيل.. يا من تخشون الاستقامة، وتلوون كل مستقيم بتشييدكم كيانًا لصهيون وسط الدماء، وإشاعتكم الجرائم في وسط أورشليم..» (ميخا: ٣/ ٩-١٠).

ويعتبر في الوقت الحاضر، كل من يشكو من سياسة «قضاة الدار الإسرائيلية» وسياسة الدولة الصهيونية في إسرائيل معاديًا للسامية. وعلى هذا القياس يصح التشهير بالرسل الكبار جميعًا: من عموس إلى أشعيا، إلى ميخا، إلى ارميا.. كمعادين للسامية لم يصطف القادة الصهيونيون الحاليون سوى ما من شأنه تبرير سياستهم: كحكاية المذابح التي ارتكبها (اشعيا) بين الكنعانيين.. لما فيها من توقعات لما سيحدث من تقتيل للعرب في كل من فلسطين ولبنان. اما اللعنات التي استنزلها ارميا وميخا فيتم استبعادها وإبراز احكام عزرا (أسدراس) في وجوب التمييز العنصري، مع تجاهل طموحات (حزقيال) و(اشعيا) نحو خلاص الكون على يد المسيح المنتظر. وبسبب اختيار «الأحبار الذين يقتلون رسل الرب» وبسبب هذا التضليل، الذي يرى في كل انتقاد لسياسة الدولة الصهيونية في إسرائيل فعلًا معاديًا

للسامية، يخشى أن تنطلق حملة فعلية ضد السامية. ومثلما يخشى اليوم أن يولد العداء للسامية، ولا يقتصر هذا عند شجب سياسة العدوان وسفك الدماء. بل يتعداه إلى الدعم الأعمى واللامشروط لتلك السياسة. وباستطاعة مناحيم بيغن، أو آرييل شارون، أو إسحاق شامير، وحدهم، ابتعاث المعاداة للسامية كنتيجة لفظائعهم. علمًا بأنه لا يمكن، في الواقع، الجمع بين مجرمي الحرب هؤلاء ذوي التاريخ العريق في الإجرام ، وبين مجمل الشعب الإسرائيلي، بل وبين مواطنينا من معتنقي الديانة الإسرائيلية أو المؤتمنين بالتراث اليهودي.. (علمًا بان المذابح التي ارتكبها أولئك المجرمون في لبنان، هي النتيجة المنطقية والحتمية لمثلهم الفكرية، وميتولوجيتهم، ومخططاتهم الرامية إلى التوسع الاستيطاني). أن الذين يقفون وراء خطر تغذية النزعة المعادية للسامية، هم موجهو بعض المنظمات، ذات الصفة التمثيلية، التي تتصرف كوكيل مطلق للحكومة الصهيونية في إسرائيل، وهم جاهزون لان يقر جرائمها وأكاذيبها المشهورة.. وترديد شعاراتها.. وللزعم، فوق كل ذلك وخلافًا للحقيقة، بتحدثهم باسم مجموع «الطائفة اليهودية».. بينما يتبرأ الكثير من أفراد هذه الطائفة على غرار مئات الآلاف من الإسرائيليين، داخل إسرائيل نفسها من تلك الجرائم وهؤلاء المجرمين.

لقد نشأت، دون أدنى شك، التباسات خطيرة، حينما عمد بيغن وزمرته - وبدعم من الحاخامات المتعصبين في «الأحزاب الدينية» الداعية «للحرب المقدسة» إلى الاقتباس القبلي من التوراة، والى الاستخدام الشاذ لفكرة «الشعب المختار» و«ارض الميعاد» لإفساد الوضع ما بين الإسرائيليين والمسيحيين، ولتبرير الاغتصاب الدموي للحقوق الإنسانية، باسم حق الهي مزعوم. أن العمل في صالح اليهودية والمسيحية ينطلق من رفض الانخداع بذلك التلاعب بالمقدسات.. وعدم

الخلط بين اليهودية، اي عقيدة إبراهيم وموسى وبقية الرسل، وبين تزمت الصهيونية العنصري. تمامًا كإطلاق صفة «مسيحيي لبنان» على جلادي (سعد حداد) أو أمثالهم من منفذي الأفعال المنحطة لحكومة تل أبيب. إننا نرمي إلى محاربة هذه الالتباسات، والى التمييز بين دولة إسرائيل وسياستها وبين سواد الشعب الإسرائيلي الذي بدأ يعي الألاعيب التي أوقعه حكامها ضحية في براثنها. نرمي أيضًا إلى التمييز بين اليهودية والميثولوجيا التي تحرفها الصهيونية من أجل أغراض سياسية. والى رفض الرضوخ للإرهاب الفكري الصادر عن عملاء التمييز العنصري الإسرائيليين، الساعين إلى تقسيم العالم بين: صهاينة ومعادين للسامية.. كعنصريي الماضي الزاعمين بتقسيمه إلى يهود وغير يهود! ونحن إنما نحارب الصهيونية السياسية، لأننا ضد التمييز العنصري.. ومعاداة الصهيونية ليست هي السبب في نشوء العداء للسامية، بل ان السبب كامن في الصهيونية نفسها. ولهذا نحارب صهيونية تدعي بأنها تستخدم الدين من أجل إضفاء هالة من القداسة على السياسة. وتجنبًا للوقوع في هذه الالتباسات الخطيرة بين:

- الصهيونية الدينية والصهيونية السياسية.
- اليهودية والصهيونية.



الحريدية والصهيونية

لا تتوقف ظاهرة الحركات الأصولية، والتداخل السياسي مع الديني في مشاريعها على الإسلام، بل هي تطال المجتمعات المسيحية واليهودية، حيث يشكل ذلك ظاهرة عالمية حاول الباحثون التوقف عندها، وتبيان أسبابها، ودلالاتها، ويعتبر كتاب «عودة إلى التاريخ المقدس: الحريدية والصهيونية» للباحث الفلسطيني المهتم بالدراسات الدينية والمقيم في أراضي ١٩٤٨ نبيه بشير، إضافة جديدة للبحث في طبيعة هذه الحركات التي أخذت تتسع في العقدين الأخيرين في المجتمع اليهودي في إسرائيل مما أدى إلى تعزيز الخطاب الديني، والدمج بين المفاهيم الدينية والسياسية، حيث أدى ذلك إلى تعزيز تأثير المجتمع اليهودي المتزمت دينيًا داخل إسرائيل وخارجها على صعيد القرار السياسي. يشير الباحث في مقدمة الكتاب إلى أن المجتمع والسياسة والثقافة شهدت منذ نهاية السبعينات تحولات عميقة على صعد عديدة وتعود أحد مصادر هذه التحولات المركزية إلى النتائج المتناقضة لحربي يونيو ١٩٦٧، وأكتوبر ١٩٧٣، .

ثم يؤكد على مسألتين أساسيتين تقفان في صلب هذه التحولات، وإعادة تعريف الصهيونية من جديد، ومحاولة شرائح واسعة من المجتمع والساسة الإسرائيليين تقويض السياسة الاتحادية التي اتَّسمت بها السياسة الإسرائيلية في تعاملها مع المجتمع اليهودي الداخلي، ومع الطوائف اليهودية في الخارج .

أما بالنسبة للتغيرات التي تظهر في صلب هذه التحولات، فإن هناك المجموعات التي تضم الفئات الحريدية ذات الطابع اليهودي المتشدد دينيًا، وتعتبر هذه الفئات المركزية التي تجمع في منطلقاتها ومطالبها إعادة تعريف الصهيونية من جديد وتعزيز مكانة القانون الديني وإخضاع الجميع له، ولا تتوقف هذه النزعات على فئات الحريدية، إذ أن هناك شرائح واسعة تسعى لتعزيز الخصائص اليمينية في الصهيونية، ومن ضمنها أحزاب وحركات يمينية علمانية، أو يسارية بالمفهوم الإسرائيلي، وقد ترافق ذلك مع بروز ظاهرة التدين وتعزيز الخطاب الديني الذي يدمج بين الديني والسياسي.

وقبل الحديث عن محاور الكتاب الأساسية لابدّ من تعريف كلمة «حريديم» التي تطلق على الأشخاص المتدينين في المجتمع اليهودي، وهي كلمة لم يتغير معناها منذ ستينات القرن الماضي وحتى الآن، ويظهر دور هذه الفئة من خلال تزايد عدد مقاعدها في البرلمان الإسرائيلي، والذي بلغ زيادة مقدارها ٧٠٪، لكن هناك ظاهرة أخرى يشير إليها الباحث، وهي تعزيز ظاهرة التقارب أكثر فأكثر إلى أنماط دينية محددة في التفكير والحياة، ودراسة الدين والتراث اليهوديين بين الشرائح العلمانية في إسرائيل ليس بهدف معرفة هذا التراث، وإنما من أجل إدراك الهوية الشخصية والجماعية، وقد تجلى ذلك من خلال ظهور الكثير من المعاهد، والكليات التي برزت في العقد الأخير، والمثير أن هذه الظاهرة تجمع بين أنماط جديدة من التدين ذات الطابع الروحاني الصوفي، وأسلوب الحياة، والتفكير ما بعد الحداثة، بعد ذلك ينقل عن دائرة الإحصاءات المركزية في إسرائيل أن نسبة عدد أفراد الفئات الحريدية تبلغ حوالي ٦٪ من مجموع السكان، وهي تتوزع في نقاط سكنية أهمها مدينة القدس، ومدينة بني براك قرب تل أبيب.

إن المجتمع الحريدي في إسرائيل يتميز بخصوصيات دينية وثقافية واجتماعية وعقيدية محدّدة، والثقافة في مفهومهم تنبع من النظرة الشاملة إلى التراث الديني والكتاب المقدس، حيث يحتوي الأخير كما يعتقدون على كل علم وثقافة ممكنين، في حين أنهم على المستوى الديني يتقيدون بالتفاسير الأكثر مغالاة وصرامة في التراث الديني، وإذا لم يجدوها فيه فإنهم يبتدعونها أما على المستوى الاجتماعي فيعتبرون أنفسهم المثال الأعلى الذي يجب على جميع اليهود التمثل به .

ينطلق الباحث في دراسته من التأكيد على السياق التاريخي والثقافي والسياسي الأوروبي الذي نشأت عليه فئات الحريدية، ويبيّن في هذا الصدد آثار الثورة البروتستانتية عليها، كما يوضّح آثار التغيرات التي ظهرت على صعيد بناء الدولة الأوروبية على الجماعات اليهودية في القارة الأوروبية، إضافة إلى دور الحركات الإنجيلية في دفع اليهود إلى اعتبار أنفسهم شعبًا بالمفهوم الحديث .

وفي الفصل التالي يناقش الباحث قضايا عرقية في التكوين اليهودي تتعلّق بالعلاقة بين الدين والعرق، ويحدد منذ البداية معالم المنهج البحثي القائم على الاختيار بين المنهج اللاهوتي الديني، والمنهج التاريخي، ثم يُناقش حقيقة المنهج اللاهوتي الذي يفترض فوق تاريخية الكتاب المقدس، ولذلك يحاول تعزيز الطرح القائل بأنّ اليهودية كما تتجلى في التوراة تعترف بوجود آلهة متعددة، وبالتالي فهي غير توحيدية، إذ أن كلمة «الوهيم» هي جمع لكلمة (إله) باللغة التوراتية، والمقصود بها هي العديد من الآلهة ثم يحاول تحليل فكرة القداسة، أو حلول الرب باليهود، ولعلّ هذه النزعة العرقية تفسر التشديد الكبير على متابعة شجرة العائلة الإسرائيلية منذ آدم وحتى فترات متأخرة من تدوين التفسيرات الشفوية للتوراة، وقد جعلهم ذلك يعيشون في خوف دائم من الاندماج بالشعوب الأخرى .

وينتقل الباحث بعد ذلك إلى التعريف بالتيارات الحريدية المركزية، بما فيها الحسيدية والمعارضين، وجماعة حبد، واليهودية الإصلاحية، واليهودية المحافظة، مبينًا أهم طروحاتها العقائدية، ومفاهيمها الدينية، ينتقل بعد ذلك إلى دراسة رد فعل الحريدية على ظهور الصهيونية، وفي البداية يحدّد السمات المركزية للصهيونية وسياقات ظهورها، ثم يتناول جوهر المعارضة الحريدية للصهيونية، القائمة على تبدل مفهوم التاريخ، والتاريخ المقدس، وفاعلية الفرد، والفكر الإنجيلي .

لقد جاء ظهور التنظيمات الحريدية في العصر الحديث بسبب ظهور النزعات المعادية لليهود في أوروبا، وسيادة مبدأ المساواة المدنية بين السكان في المجتمعات الأوروبية، وقد جاء ظهور أول تنظيم حريدي على يد القيادات الدينية الحريدية في ألمانيا ١٨٨٥، وقد كان تأثير هذا التيار قويًا على تطور الفكر الديني والتنظيم الحريدي، ثم يعرض للأدوار التي لعبها عدد من رموز هذا التيار الديني، بالإضافة إلى الحركات والأحزاب الحريدية، لا سيما في إسرائيل حيث واجهت هذه الحركات واقعًا جديدًا ينطوي على تناقضات عديدة، فمن جهة تعيش واجب الانصياع لعقيدة ترى في الصهيونية تعبيرًا ساخرًا للتمرد على مشيئة الرب، والواقع التاريخي لدولة إسرائيل، ومن جهة أخرى تشكّل هذه الحركات قوة اجتماعية، وسياسية كبيرة، تهدّد القوى العلمانية في المجتمع الإسرائيلي .

لقد شهد النصف الثاني من السبعينات الماضية انقلابًا في الخريطة السياسية الإسرائيلية مع انتقال الحكم لأول مرة من حزب العمل إلى حزب الليكود، إذ ساهم ذلك في تعزيز قوة الأحزاب السياسية الحريدية في صنع القرار السياسي الإسرائيلي، وقد كشف المجتمع الإسرائيلي عن تضامنه مع المجتمع الحريدي باعتبار أن مصدر العديد من المفاهيم الصهيونية يقوم على مفاهيم دينية يهودية إضافة إلى أن

النخبة السياسية ترى بأنّ الحريدية هي تجسيد لليهودية الخالصة، وكان عام ١٩٧٧ نقطة التحوّل في تعزيز قوة هذه الأحزاب، حيث نجم عن ذلك تعزيز قوة تأثيرهم خارج إطار المجال الديني سواء على الصعيد الثقافي، أو على الصعيد الديموغرافي، ويتناول الباحث حركة شاس باعتبارها نموذجًا جديدًا لحزب حريدي جلب معه إلى الساحة السياسية الإسرائيلية نوعًا جديدًا من السياسيين، وخطابًا مختلفًا لم يكن معهودًا في السابق، فقد كان من الأوائل الذين اخترقوا الإطار العلماني، وتحاوروا مع الجمهور والممثلين العلمانيين، ويبحث كذلك في أسباب ظهور حركة شاس كحركة إثنية ودينية قامت على أربعة متغيرات: هي تعاظم النزعة الإثنية في المجتمع الإسرائيلي، واندثار سياسية الاحتواء في هذه السياسة، وتعزز نمط الفصل في الأمور المتنازع عليها، إضافة إلى انسجام الخطاب الديني وتزامن ظهوره مع تفاقم أزمة الهوية، وتعاظم ظاهرة التديّن في المجتمع الإسرائيلي، ثم يناقش هذه المتغيرات الجديدة، مبينًا أن ظهور حركة شاس جاء بفعل تراكم، وتفاعل تاريخيين .

وفي النهاية يبيّن الباحث أن حركة شاس لا تعمل على احتلال الأرض بواسطة إنشاء مستوطنات بشكل مكثف، إلا أنها لا تعترض على الانتقال إلى مستوطنات جديدة، كما أن جمهور الحركة وقيادته يعتبرون أن دولة إسرائيل هي دولتهم، ويجمل في النهاية واقع المجتمع الحريدي الذي يتبنى السجال الصهيوني بأطيافه العسكرية والتصورية، والاستيطانية، لكنه يسعى جاهدًا لتفريغ هذا السجال من محتواه شبه العلماني، واستبداله بتصورات ومعانٍ دينية حريدية وتاريخية مغايرة، وبذلك تكون الحركة الصهيونية قد خلقت واقعًا ومنظومة عقدية دون أن تتمكن من فرض منطلقاتها على جميع الفئات، والمجموعات الإثنية، والطائفية اليهودية .

يضم الكتاب في نهايته ملاحق بالمستوطنات الحريدية في فلسطين التاريخية

ووثيقة الحفاظ على الوضع القائم لممثلي إدارة الوكالة اليهودية، إضافة إلى هوامش الكتاب التي تتناول الطوائف اليهودية في أوروبا، والسياق التاريخي، والثقافي الذي ظهرت فيه، إلى جانب ملخص للظاهرة الحريدية وثبت بالمراجع العربية والمترجمة، والمراجع العبرية، وتقارير ووقائع المؤتمرات الصهيونية، والمراجع الإنكليزية، إلى جانب ثبت بالأعلام، وثبت جغرافي وثبت الأحزاب والمنظمات، والنصوص التوراتية



عالم خفايا الصهيونية

الفصل الثالث

هرتزل
والحركة الصهيونية

ولد تيودور (بنيامين زئيف) هرتزل مؤسس الصهيونية السياسية المعاصرة في بودابست في العام ١٨٦٠، وتلقى تعليمه بروح حركة التنوير اليهودية الألمانية حيث بلور موقفه الإيجابي من الثقافة العلمانية. في العام ١٨٧٨ انتقلت عائلة هرتزل إلى فيينا. وفي العام ١٨٨٤ حصل على درجة الدكتوراة في مجال القانون من جامعة فيينا. وأصبح هرتزل في ذلك الحين كاتبًا روائيًا وكاتبًا مسرحيًا وصحافيًا حيث عمل مراسلاً في باريس للصحيفة الليبرالية البارزة انذاك«Neue Freie Press» .

خلال تلقيه الدراسة في جامعة فيينا عام ١٨٨٢ وقف هرتزل لأول مرة عن كثب على ظاهرة اللا- سامية الأمر الذي انعكس كثيرًا على سيرة حياته وعلى مصير اليهود في القرن العشرين. وفي وقت لاحق خلال فترة إقامته في باريس تعرض هرتزل شخصيا لظاهرة معاداة السامية. وكان هرتزل في ذلك الوقت يعتبر المشكلة اليهودية قضية اجتماعية. وفي العام ١٨٩٤ انتهى من كتابة مسرحية تحمل اسم : الغيتو (حي اليهود) والتي عبر من خلالها رفضه لفكرة اندماج اليهود في الشعوب الأخرى أو اعتناقهم لديانات جديدة حلاً للقضية اليهودية. هرتزل كان يأمل في أن تؤدي مسرحية «غيتو» إلى إثارة نقاش مفتوح وبالتالي إلى حل يعتمد على التسامح والاحترام المتبادلين بين المسيحيين واليهود.

في العام ١٨٩٤ وجه القضاء الفرنسي بصورة ليس لها ما يبررها تهمة الخيانة إلى النقيب ألفريد دريفوس (Alfred Dreyfus) الضابط اليهودي في الجيش الفرنسي، وذلك على خلفية أجواء اللا- سامية التي كانت سائدة في تلك الفترة. هرتزل الذي شاهد الجماهير في تلك الفترة وهم يصرخون: «الموت لليهود» استنتج أن الحل الوحيد أو الطريقة الوحيدة لمواجهة الحملة اللا- سامية تتمثل بهجرة ضخمة لليهود إلى أرض يمكن لهم أن يعتبروها ملكًا لهم. وهكذا أصبحت

قضية دريفوس أحد العوامل الحاسمة في نشوء الصهيونية السياسية.

هرتزل استنتج أن معاداة السامية عامل ثابت في المجتمع الإنساني لا يمكن لفكرة اندماج (اليهود) أن تحله. على هذا الأساس كان هرتزل يدرس فكرة السيادة اليهودية، وعلى الرغم من تعرضه لسخرية بعض القادة اليهود، نشر في العام ١٨٩٦ الكتيب الذي يحمل لعنوان «Der Judenstaat» ، «دولة اليهود». هرتزل شدد على أن جوهر القضية اليهودية ليس فرديا وإنما قوميا وصرح بأن الطريقة الوحيدة التي تمكّن اليهود من الحصول على القبول الدولي تتمثل في عدم استمرار كونهم ظاهرة قومية استثنائية. وقال أن اليهود شعب واحد يمكن تحويل مآزقه إلى قوة إيجابية وذلك من خلال إقامة دولة يهودية بموافقة القوى العظمى. هرتزل كان ينظر إلى القضية اليهودية كقضية سياسية دولية يجب التعامل معها في سياق السياسة الدولية.

وقدم هرتزل خطة عملية لجمع الأموال من اليهود في أنحاء العالم وذلك بواسطة منظمة تعمل من أجل تحقيق هذا الغرض (وهذه المنظمة عندما تم تأسيسها سميت المنظمة الصهيونية). وتصور هرتزل الدولة اليهودية العتيدة كدولة اجتماعية نموذجية مستندًا في أفكاره إلى النموذج الأوروبي الذي كان سائدا في تلك الفترة والذي كان أساسه مجتمعا متنورا معاصرًا. مثل هذه الدولة ستكون محايدة ومحبة للسلام وعلمانية.

إن الأفكار التي عرضها هرتزل لاقت حماس الجماهير اليهودية في أوروبا الشرقية، رغم أن القادة اليهود كانوا أقل تحمسا إزاء تلك الأفكار.

ومع ذلك نظم هرتزل وترأس المؤتمر الصهيوني الأول في مدينة بازل السويسرية بين ٢٩ و-٣١ أغسطس آب ١٨٩٧ والذي شكل أول اجتماع دولي لليهود ينعقد

على أساس وطني وعلماني. وخلال المؤتمر تبنى الممثلون اليهود «خطة بازل» التي حددت أهداف الحركة الصهيونية. كما أعلن الممثلون في المؤتمر أن الصهيونية تستهدف إقامة وطن للشعب اليهودي في فلسطين على أساس القانون العام. وتم خلال المؤتمر تأسيس المنظمة الصهيونية ذراعًا سياسيًا للشعب اليهودي، وتم انتخاب هرتزل أول رئيس له.

وفي العام ذاته أسّس هرتزل المجلة الأسبوعية الصهيونية Die Velt.

وبدأ نشاطاته من أجل الحصول على وثيقة رسمية تسمح بتوطين اليهود في أرض إسرائيل.

وفي أعقاب المؤتمر الصهيوني الأول بدأت الحركة الصهيونية تلتئم سنويًا في إطار المؤتمر الصهيوني الدولي. في العام ١٩٣٦ نقل مركز الحركة الصهيونية إلى أورشليم القدس. في العام ١٩٠٢ نشر هرتزل كتابه «الأرض القديمة الجديدة» Altneuland الذي وصف فيه الدولة اليهودية العتيدة كالمجتمع الأمثل. هرتزل تصور مجتمعًا جديدًا ينشأ في أرض إسرائيل على أساس تعاوني يستفيد من العلوم والتكنولوجيا لتطوير الدولة. وشمل هرتزل في كتابه أفكارًا مفصلة حول رؤيته للدولة العتيدة من ناحية الهيكل السياسي والهجرة وجمع الأموال والعلاقات الدبلوماسية والقوانين الاجتماعية والعلاقة بين الدين ولدولة.

في كتابه Altneuland وصف هرتزل الدولة اليهودية كمجتمع تعددي وتقدمي، «النور الذي تهتدي به جميع الشعوب». وكان لهذا الكتاب صدى كبير جدًا لدى اليهود في تلك الفترة وأصبح رمزا للرؤية الصهيونية في أرض إسرائيل.

هرتزل شدد على ضرورة الحصول على الدعم والتشجيع من القوى العظمى للأهداف الوطنية للشعب اليهودي. لهذا الغرض قام هرتزل في العام ١٨٩٨

بجولة في إسرائيل واسطنبول للقاء القيصر الألماني فيلهلم الثاني والسلطان العثماني. وعندما باءت جهوده بالفشل توجه هرتزل إلى بريطانيا حيث التقى جوزيف تشامبرلين وزير المستعمرات البريطاني وشخصيات أخرى. ولكن الاقتراح الحقيقي الوحيد الذي تلقاه من المسؤولين البريطانيين تمثل في فكرة إنشاء منطقة حكم ذاتي لليهود في شرق إفريقيا، في أوغندا.

زيارة هرتزل لروسيا في العام ١٩٠٣ كانت فرصة له للوقوف عن كثب على مذبحة كيشينيف والظروف الصعبة التي كان يعيشها اليهود في روسيا آنذاك. وكان لتلك الزيارة تأثير كبير على هرتزل. وفي العام ذاته عرض على المؤتمر الصهيوني السادس المبادرة البريطانية لإنشاء منطقة حكم ذاتي لليهود في أوغندا ملجأ أو ملاذا ليهود روسيا الذين كانوا يتعرضون لخطر حقيقي. ورغم محاولات هرتزل لإقناع الحضور بأن المبادرة البريطانية لن تؤثر سلبًا على الهدف الرئيسي الذي حددته لها الحركة الصهيونية وهو إنشاء كيان يهودي في أرض إسرائيل، إلا أن المبادرة أثارت عاصفة في المؤتمر وكادت أن تقود إلى انقسامات وانشقاقات داخل الحركة الصهيونية. ولكن في نهاية المطاف رفضت الحركة الصهيونية خطة أوغندا في مؤتمرها السابع في العام ١٩٠٥.

هرتزل توفي في العام ١٩٠٤ بسبب التهاب رئوي بالإضافة إلى الإرهاق الذي كان يعاني منه نتيجة الجهود الحثيثة التي بذلها من أجل الصهيونية.

ولكنه نجح قبل رحيله في ترسيخ مكانة الحركة الصهيونية على الخارطة السياسية العالمية. وفي العام ١٩٤٩ نُقل رفات هرتزل إلى إسرائيل حيث تم دفنه في الجبل الذي أُطلق عليه اسم « جبل هرتزل» في أورشليم القدس.

هرتزل هو الذي ابتكر عبارة «إذا صدق عزمكم فهي ليست أسطورة» التي

تحولت إلى شعار الحركة الصهيوية. ورغم أن أحدًا في تلك الفترة لم يكن يتصور ذلك، غير أن الحركة الصهيونية وبعد مرور خمسين عامًا فقط على المؤتمر الصهيوني الأول نجحت في إقامة دولة إسرائيل المستقلة.

المؤتمر الصهيوني : من الشتات إلى إسرائيل

الصهيونية

(تم أخذ هذا الفصل من كتاب «الصهيونية» (١٩٩٥) للبروفسور بنيامين نويبرغير) الصهيونية هي الحركة الوطنية التي تتمسك بفكرة استرداد الشعب اليهودي لوطنه- أرض إسرائيل- وعودة الحياة اليهودية السيادية فيه.

فقد استمر التطلع إلى عودة اليهود إلى صهيون خلال الفترة الطويلة التي أقام فيها اليهود في المهاجر، في أعقاب الاحتلال الروماني وخراب الهيكل الثاني بأيدي الرومان عام ٧٠ ميلادية. وفي القرن التاسع عشر بدأ يأخذ التطلع إلى صهيون شكلا جديدا مع ظهور الوطنية المعاصرة والليبرالية والانعتاق التي أدت باليهود إلى محاولات للتعامل مع تساؤلات ومشاكل جديدة.

كانت حركة «محبة صهيون» التي نشأت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر تنادي بعودة الحياة اليهودية في أرض إسرائيل وبدأت بإقامة تجمعات زراعية في إسرائيل. ولكن في فترة لاحقة بذل هرتزل جهودًا لتحويل الصهيونية إلى حركة سياسية وبادر إلى انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول في العام ١٨٩٧. وكان هرتزل أول من نجح في استقطاب الاهتمام الدولي بالقضية اليهودية وحول الشعب اليهودي إلى لاعب على الساحة السياسية الدولية. والحركة الصهيونية التي نشأت على أساس المبادرات التي قدمها هرتزل أقامت لها هيئات وآليات تنظيمية وسياسية واقتصادية

لتنفيذ رؤيتها وايديولوجيتها.

الحركة الصهيونية حددت وأعلنت أهدافها الرئيسية : إقامة الوطن القومي للشعب اليهودي على أرض إسرائيل- على أساس «خطة بازل».

إلى جانب الحركات التي رفضت فكرة إحياء الوطنية اليهودية، انضوت تحت مظلة الصهيونية مجموعات مختلفة مثل الصهيونية الدينية أو الصهيونية الاشتراكية. كل هذه المجموعات كانت تسعى إلى تحقيق الهدف ذاته وهو إقامة موطن قومي لليهود وهي المبادرة التي توّجت بإقامة دولة إسرائيل عام ١٩٤٨ .

ترجمة معاصرة لفكرة قديمة

يشتق اسم «الصهيونية» من كلمة «صهيون» التوراتية وهو الاسم المرادف التقليدي لأورشليم القدس وأرض إسرائيل. والصهيونية هي أيديولوجية تمثل التطلع المستمر لليهود في أنحاء العالم إلى استرداد وطنهم القومي التاريخي- صهيون، أرض إسرائيل.

ويعود الأمل اليهودي في العودة إلى الوطن القومي إلى اليهود الذين هجروا إلى بابل قبل حوالي ٢٥٠٠ سنة- وهو الأمل الذي تحول إلى حقيقة في نهاية المطاف. («على أنهار بابل هناك جلسنا، فبكينا عندما تذكرنا صهيون». مزامير دؤود ١ :١٣٧). هكذا لم تخترع الصهيونية التي نشأت في القرن التاسع عشر فكرة العودة ولا كيفية تطبيقها وإنما جمعت بين فكرة قديمة وحركة ناشطة وجعلتهما مؤهلتين معا لتلبية حاجات العهد وروحه.

إن جوهر فكرة الصهيونية يتمثل في «إعلان إقامة دولة إسرائيل» («وثيقة الاستقلال») (١٤أيار/ مايو ١٩٤٨) والتي تبدأ بهذه الكلمات :

« نشأ الشعب اليهودي في أرض إسرائيل، وفيها اكتملت هويته الروحانية والدينية والسياسية ، وفيها عاش لأول مرة في دولة ذات سيادة ، وفيها أنتج قيمه الثقافية والقومية والإنسانية وأورث العالم أجمع كتاب الكتب الخالد. وعندما أجلي الشعب اليهودي عن بلاده بالقوة، حافظ على عهده لها وهو في بلاد مهاجرة بأسره ولم ينقطع عن الصلاة والتعلق بأمل العودة إلى بلاده واستئناف حريته السياسية فيها».

تقوم فكرة الصهيونية على أساس الرابطة الطويلة والمستمرة بين الشعب اليهودي وأرضه وهي العلاقة التي بدأت قبل ٤٠٠٠ عام تقريبا، عندما توطن إبراهيم الخليل في كنعان التي أصبحت معروفة في فترة لاحقة باسم أرض إسرائيل.

يتمثل جوهر التفكير الصهيوني في مبدأ كون أرض إسرائيل المنشأ التاريخي للشعب اليهودي والإيمان بأن تواجد الشعب اليهودي في أي مكان آخر يعني العيش في المنفى. وقد عبر عن هذه الفكرة موشيه هيس في كتابه : «روما وأورشليم القدس» (١٨٨٤) :

« لقد تبلورت الحضارة اليهودية خلال عهدين رئيسيين : الأول، بعد التحرر وخروج الشعب اليهودي من مصر الفرعونية، والثاني، عودة اليهود من بابل. وسيأتي العهد الثالث مع عودة اليهود إلى أرض إسرائيل من المهاجر».

خلال عقود من الزمن في المهاجر، حافظ اليهود على روابط فريدة من نوعها مع وطنهم التاريخي معبرين عن تطلعهم إلى صهيون بالطقوس والشعائر والأدب.

معاداة السامية : عامل في نشوء الصهيونية

رغم أن الصهيونية تعبر عن الرابطة التاريخية بين الشعب اليهودي، وأرض

إسرائيل، غير أن ظهور الصهيونية المعاصرة كحركة وطنية ناشطة في القرن التاسع عشر ليس من الواضح أن كان يتم دون ظاهرة معاداة السامية المعاصرة وحالة الاضطهاد المستمر طوال قرون التي تعرض لها اليهود في المهاجر.

هُجر اليهود خلال قرون من معظم الدول الأوروبية - ألمانيا وفرنسا وبريطانيا وويلس وإسبانيا والبرتغال. والحديث عن تجربة متراكمة كان لها صدى كبير خاصة في القرن التاسع عشر، تلك الفترة التي فقد فيها اليهود الآمال في احتمال حدوث تغيير جذري في حياتهم. هذه الأجواء كانت مصدر ظهور القادة اليهود الذين تبنوا الصهيونية نتيجة لخطورة ظاهرة معاداة السامية التي كانت سائدة في المجتمعات المحيطة بهم.

هكذا أصبح موشيه هيس الذي أصيب بصدمة من فرية الدم التي كانت تلفق ضد اليهود في دمشق (١٨٤٤) أصبح مؤسس الصهيونية الاشتراكية. وليؤون بينسكير الذي هزته المجازر ضد اليهود (١٨٨١-١٨٨٢) التي أعقبت اغتيال القيصر إسكندر الثاني، تولى قيادة حركة «محبة صهيون». وتيودور هرتزل كصحافي في باريس والذي تعرض بنفسه لحملة اللا - سامية التي نُظمت على خلفية قضية در يفوس هو الذي حوّل الصهيونية إلى حركة سياسية.

وسعت الحركة الصهيونية إلى حل «القضية اليهودية»، مشكلة الأقلية الدائمة، مشكلة الشعب الذي يتعرض مرارًا وتكرارًا للمجازر والاضطهادات، ومشكلة المجتمع المشرد الذي تعزز شعوره بالاغتراب بسبب التمييز بمعاملة اليهود كلما هاجروا إلى مكان آخر. لقد سعت الصهيونية إلى مواجهة هذه الأوضاع من خلال تحريك عملية عودة اليهود إلى وطنهم التاريخي - أرض إسرائيل.

بالحقيقة، غالبية موجات هجرة اليهود الضخمة إلى إسرائيل في العهد المعاصر

كانت بمثابة رد مباشر على أعمال القتل والتمييز التي استهدفت اليهود. كانت الهجرة الأولى ردا على المجازر في روسيا خلال ثمانينيات القرن التاسع عشر. فجاءت الهجرة الثانية ردا على مجزرة كيشينييف وموجة من المذابح ضد اليهود في أوكرانيا وروسيا البيضاء في مطلع القرن العشرين. أما بالنسبة للهجرة الثالثة فجاءت عقب المذابح التي استهدفت اليهود خلال الحرب الأهلية في روسيا. الهجرة الرابعة ومصدرها بولندا تمت خلال العشرينيات من القرن الماضي على خلفية القوانين التي بادر إليها غروسكي للحد من النشاطات الاقتصادية لليهود في بولندا. والهجرة الخامسة كانت خلفيتها فرار اليهود من النازية في ألمانيا والنمسا.

ولكن حتى بعد إقامة دولة إسرائيل في العام ١٩٤٨ كانت الموجات الضخمة من الهجرة إلى إسرائيل مربوطة بظاهرة التمييز والقمع التي تعرض لها اليهود: الناجون من الكارثة التي حلت باليهود في أوروبا ولاجئون من الدول العربية فارين من الاضطهادات التي كانوا يتعرضون لها عقب إقامة دولة إسرائيل، وبقايا اليهود في بولندا الذين فروا من حملة المعاداة للسامية في عهد غومولكا وموزكار، واليهود في روسيا ودول أخرى في الاتحاد السوفيتي سابقا الذين كانوا يخشون من حدوث موجات جديدة من اللا- سامية عقب انهيار الاتحاد السوفيتي.

إن تاريخ موجات الهجرة اليهودية إلى إسرائيل يوفر التأكيد الأقوى للموقف الصهيوني القائل بأن إقامة دولة يهودية في أرض إسرائيل يتمتع فيها اليهود بالأغلبية هو الحل الوحيد «للقضية اليهودية».

نشوء الصهيونية السياسية

نشأت الصهيونية السياسية، الحركة الليبرالية القومية للشعب اليهودي في القرن

التاسع عشر وسط موجة القومية الليبرالية التي اجتاحت أوروبا في تلك الفترة.

الصهيونية دمجت بين ركني القومية الليبرالية - التحرير والوحدة - وذلك من خلال سعيها إلى تحرير اليهود من قبضة الأنظمة الأجنبية القمعية والمعادية من جهة ومن جهة أخرى إعادة الوحدة اليهودية من خلال تنظيم عملية قدوم اليهود في المهاجر، من أنحاء العالم الأربع، إلى الوطن اليهودي.

كان ظهور الصهيونية كحركة سياسية يشكل أيضًا ردًا على فشل حركة التنوير اليهودية في حل «القضية اليهودية». حسب مبادئ الصهيونية يعود هذا الفشل إلى كون الانعتاق الفردي والمساواة مستحيلاً بالنسبة لليهود دون الانعتاق والمساواة على المستوى القومي، ذلك لأن القضايا القومية تتطلب حلولاً قومية.

والحل القومي الصهيوني تمثل في إقامة دولة قومية يهودية يتمتع فيها اليهود بالأغلبية في وطنهم التاريخي، مُنجزًا بذلك حق الشعب اليهود في تقرير مصيره.

الصهيونية لم تعبر «تطبيع» الظروف اليهيودية مخالفًا للأهداف والقيم الإنسانية. كما تؤيد الصهيونية حق أي شعب في العالم بأسره في الحصول على وطنه قائلة أن الشعوب التي تتمتع بالسيادة والاستقلال فقط هي التي يمكن لها أن تتحول إلى عضو كباقي الأعضاء في الأسرة الدولية.

الصهيونية : حركة تعددية

رغم أن الصهيونية كانت في الأسس حركة سياسية تسعى إلى تحقيق عودة اليهود إلى وطنهم متمتعين بالحرية والاستقلال والأمن وإقامة الدولة، غير أنها سعت أيضا إلى تطوير الثقافة اليهودية. وكان أحد العوامل الهامة في هذا السياق إحياء اللغة العبرية التي كان استخدامها يقتصر خلال سنوات طويلة على

الطقوس والأدب. وقد سعت الصهيونية إلى تحويل اللغة العبرية إلى لغة قومية فعالة ليتم استخدامها في المحافل الحكومية، والجيش، والتربية، والعلوم، والأسواق وفي الشارع.

ومثلما كان الوضع بالنسبة إلى قوميات أخرى كانت للصهيونية علاقات متبادلة مع أيديولوجيات أخرى مما أدى إلى نشوء تيارات ومجموعات صهيونية مختلفة.

فعلى سبيل المثال خلق الاندماج بين القومية، والليبرالية تيار الصهيونية الليبرالية. فيما كانت نتيجة دمج الاشتراكية نشوء الصهيونية الاشتراكية. كما أن لقاء الصهيونية بالتيارات الدينية ولد الصهيونية الدينية. وتأثير القومية الأوروبية كان مصدر الإيحاء للمجموعات القومية اليمينية. في هذا السياق لم تختلف الصهيونية عن سائر القوميات التي تبنت هي الأخرى ميولاً مختلفة، ليبرالية وتقليدية واشتراكية (يسارية) ومحافظة (يمينية).

الصهيونية والقومية العربية

كان معظم مؤسسي الصهيونية يعلمون حقيقة تواجد سكان عرب في فلسطين (أرض إسرائيل) (رغم أن بعضهم تحدثوا بسذاجة عن «أرض بلا شعب»، أو عن «شعب بلا أرض»). على أية حال القلائل منهم اعتبروا التواجد العربي عقبة أمام تحقيق أهداف الصهيونية. في تلك الفترة في نهاية القرن التاسع عشر لم تكن القومية العربية قائمة في أي شكل وكان عدد السكان العرب في فلسطين ضئيلاً، ولم يكونوا مهتمين بالسياسة. لذلك كان العديد من القادة الصهاينة يميلون إلى الاعتقاد بأن حقيقة تواجد عدد قليل نسبيًّا من السكان العرب في فلسطين قد تمنع مشاكل بينهم وبين اليهود العائدين إلى أرض إسرائيل.

وكان القادة اليهود مقتنعين أيضًا بأن التطورات المستقبلية بعد إقامة دولة

إسرائيل قد يستفيد منها الشعبان مما يقنع العرب بالتعاون. على أية حال هذه الآمال لم تتحقق.

في مقابل المواقف والتوقعات المعلنة التي أبداها المفكرون الصهاينة والذين كانوا يسعون إلى تحقيق أهدافهم بالطرق السلمية، وبالتعاون مع العرب، اصطدم التواجد اليهودي المتجدد في أرض إسرائيل بمعارضة عربية مناضلة. لفترة ما وجد العديد من الصهاينة صعوبة في إدراك وقبول عمق الخلاف، الذي تحول بالفعل إلى مواجهة بين شعبين يعتبر كل منهما الأرض ملكا له - اليهود على خلفية روابطهم التاريخية والروحية، والعرب بسبب التواجد المستمر للدول العربية في الأرض.

بين الأعوام ١٩٣٦-١٩٤٧ تصاعد الصراع بين الجانبين على أرض إسرائيل. فقد أصبحت المعارضة العربية أكثر تطرفًا بالتزامن مع زيادة عدد السكان اليهود وتطور المجتمع اليهودي في البلاد. وفي الوقت ذاته رأت الحركة الصهيونية انه بات من الضروري زيادة الهجرة اليهودية إلى إسرائيل وتطوير البنى التحتية الاقتصادية للبلاد وذلك من أجل إنقاذ اكبر عدد ممكن من اليهود من الجحيم النازي في أوروبا.

وأدت المواجهة بين اليهود والعرب التي كان يبدو انه لا يمكن تجنبها ، أدت بالأمم المتحدة إلى إصدار القرار في ٢٩ نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩٤٧ الذي ينص على إقامة دولتين في المناطق الواقعة غربي نهر الأردن- إحداهما يهودية والثانية عربية. وقبل اليهود القرار في حين رفضه العرب.

في ١٤ أيار/ مايو، ١٩٤٨، بموجب قرار الأمم المتحدة الصادر في نوفمبر ١٩٤٧، أُعلن رسميا عن إقامة دولة إسرائيل.



الواقع الفلسطيني الإسرائيلي اليوم

المسيحية الصهيونية وتأثيرها
على الكنيسة والمسيحيين في فلسطين

■■■■■

الصهيونية والعرب

أيقن الصهاينة منذ البداية أن سكان فلسطين الفلسطينيين العرب سيرفضون التخلي الطوعي عن الأرض، وهم لذلك ومنذ بداية وجودهم على الأرض الفلسطينية عملوا بكل طاقتهم للقضاء على مقاومة أهل الأرض، وسيكون من المهم التأكيد على التناغم مع الاستعمار البريطاني صاحب المشروع ومركزه وهما قاما لهذا بقمع أي محاولة تعبير عن النفس والمطالبة بالحقوق مما ولد مقاومة شعبية عرفت أشكال متعددة من النضال للتخلص من المشروع الاستيطاني الإحلالي فكانت منها ثورة ٣٦ الشعبية التي قوبلت بوحشية أصبحت لاحقًا نموذج التعامل العنصري المستمر ضد الشعب العربي الفلسطيني وهو ما مكن الحركة الصهيونية لاحقًا بدعم منقطع النظير من المركز الإمبريالي البريطاني (ولاحقًا الأمريكي) من إرهاب أهل الأرض وأدى لتراجع مقاومتهم محدودة الدعم ومهد للاغتصاب الكبير في ٤٨.

الواقع في القدس

أكثر ما يثير القلق بالنسبة لمعارضي تيار المسيحيين الصهيونيين في إسرائيل هو احتمال أن يكون موقفهم متقلبًا.

يقول بعض المسيحيين الفلسطينيين: إنهم يشعرون بتأثير المسيحية الصهيونية بشكل مباشر وإن بعض المسلمين الفلسطينيين يفترضون الآن أن هذه الرؤية المسيحية الغربية المناهضة لقيام دولة فلسطينية مقبولة من جميع المسيحيين.

وبالنسبة لغالبية المسيحيين الفلسطيتيين فإن المسيحية الصهيونية مثيرة للقلق لأنها تنطلق من أفكار تتناقض تماما مع رغبتهم العميقة في تحقيق السلام العادل لكل من الفلسطينيين والإسرائيليين.

والكثيرون من المسيحيين الفلسطينيين ينتمون إلى عائلات إما تحولت إلى لاجئين وإما تحولت إلى الحياة في دولة إسرائيل التي تأسست عام ١٩٤٨م، فعائلة نعيم عتيق وعائلة شقور وعائلة اليكس عوض وحواتمة، وحبش وغيرهم من العائلات المسيحية الفلسطينية التي اضطرت إلى ترك منازلهم الفلسطينية على يد قوات الاحتلال الإسرائيلية.

دعم الاستيطان اليهودي

إن ما يزيد موقف المسيحيين الفلسطينيين اشتعالا أن تجد جماعة مسيحية تقدم المساعدات اللازمة لبناء مستوطنات يهودية على أراض مصادرة من الفلسطينيين، فعلى سبيل المثال، وبعد توقيع اتفاق أوسلو للسلام بين الفلسطينيين والإسرائيليين عام ١٩٩٣ الذي تضمن اتخاذ خطوات في اتجاه إزالة المستوطنات الإسرائيلية من الأراضي الفلسطينية المحتلة أسس تيد بيكيت المسيحي الأمريكي في ولاية كولورادو منظمة تسمى (المسيحيون أصدقاء المستوطنات الإسرائيلية) بهدف جمع التبرعات لمساعدة المستوطنين اليهود في الأراضي الفلسطينية المحتلة، قامت هذه المنظمة بنشاط كبير في مجال مساندة المستوطنين سواء من خلال جمع التبرعات أو تنظيم رحلات سياحية للمسيحيين الصهيونيين لزيارة هذه المستوطنات أو تمويل

مشروعات خاصة في هذه المستوطنات.

وتقول ساندرا باراس وهي يهودية متطرفة ترأس أحد برامج دعم المستوطنين التي تنظمها منظمة المسيحيون أصدقاء المستوطنات الإسرائيلية إنها تنظم حوالي عشر جولات سياحية إلى المستوطنات في الشهر، وتضيف المجتمع الإنجيلي يقف إلى جوارنا بكل قوة وهو من خلال الدعم المالي أو الزيارات التي يقوم بها أعضاؤه يبعث برسالة تشجيع لهؤلاء الذين يعيشون في المستوطنات.

ويحذر جيف هالبر أستاذ علم الأديان في جامعة بن جوريون الإسرائيلية من أنه عندما يتحول الصراع السياسي إلى صراع ديني فإننا نفقد القدرة على التعامل معه ويصبح الحل الوحيد المتاح هو الحل النهائي.

ويضيف هالبر أن التحالف الحالي بين المسيحيين الصهاينة والأصوليين اليهود يثير قلق الإسرائيليين لأن غالبيتهم من العلمانيين، ولعل أخطر الاحتمالات المتعلقة بنبوءة عودة المسيح يتمثل في محاولة إعادة بناء الهيكل اليهودي في المكان الذي توجد به قبة الصخرة والمسجد الأقصى المقدس لدى المسلمين.

مثل هذه الرؤى تثير فزع الخبراء بشدة، ويقول المؤرخ مارتن مارتي: أن هذا الخلط بين النبوءة والسياسات يمكن أن (تشعل حربا عالمية ثالثة).

كما تحدث الأب جورج شهوان راعي كنيسة العذراء للروم الأرثوذكس بيت جالا في مقابلة شخصية أفاد فيها عن الكم الهائل من المسيحيين الذين كانوا متواجدين في فلسطين وخصوصًا في الجليل اللد الرملة ولكن ٩٠٪ منهم هاجروا نتيجة الاحتلال الإسرائيلي، وما انبثق عنه من الاستيلاء على الكثير من الأراضي التي تخص الفلسطينيين تحت ما يسمى كركعات إسرائيل أي ارض إسرائيل العمي دار أي وضع اليد على أراضي غائبين تخص مسيحيين وأراضي وقفية.

كما تحدث عن حجم الدمار الهائلة من إبادة قرى بأكملها، حيث أصبحت هناك هجرة داخلية من قرى مثل أقرط وبرعم وصفورية.وهاجروا إلى الناصرة، كنيسة فلسطين بالذات هي الكنيسة المضطهدة عبر التاريخ لكن أكثر شيء اثر عليها في القرن العشرين والواحد والعشرين هي الصهيونية المسيحية العالمية، أما في بداية القرن الواحد والعشرين جميع أراضي بيت لحم تحت مسميات أغراض عسكرية بني عليها مستوطنات، وتعتبر منطقة بيت لحم أكثر كثافة سكانية، أما الحصار المفروض على الضفة الغربية هو نتاج الدولة الصهيونية مما أدى إلى هجرة الكثير من الناس فأصبح في فلسطين أقل من ١٪ من المسيحيين فكان تأثير المسيحية الصهيونية في فلسطين تأثير سلبي جدًا ، ولا يزال هذا التأثير مستمر حتى الآن ولا ننسى تأثير الدعاية الصهيونية في استغلالهم في قضية الكارثة وأصبحنا نحن ضحايا للغرب . (شهوان ،جورج ، بيت جالا، راعي كنيسة العذراء للروم الأرثوذكس. في ١٥/ ٥/ ٢٠٠٨).

الصهيونية في القرن الحادي والعشرين

شكلت إقامة دولة إسرائيل تحقق الهدف الصهيوني المتمثل في الحصول على وطن معترف به دوليًا وقانونيًا للشعب اليهودي في أرضه التاريخية، حيث يعيش اليهود دون اضطهاد وحيث يستطيعون تطوير حياتهم وهويتهم.

منذ العام ١٩٤٨ حددت الصهيونية مهمتها الأولى بالاستمرار في دفع عملية «جمع الشتات» التي دعت في حينه إلى بذل جهود حثيثة لإنقاذ الجاليات اليهودية التي كانت تتعرض جسديًا وروحيًا للخطر. كما سعت الصهيونية بعد ١٩٤٨ إلى الحفاظ على وحدة الشعب اليهودي، واستمراريته وركزت على مركزية إسرائيل في حياة اليهودية في كل مكان.

خلال القرون الماضية شكل التطلع إلى استرداد الشعب اليهودي لأرض إسرائيل الرابطة التي وحّدت الشعب اليهودي في الشتات. اليهود في أنحاء العالم قبلوا الصهيونية عقيدة يهودية ويدعمون دولة إسرائيل معتبرين إياها تطبيقا أساسيًا للصهيونية ومقدرين مساهمة دولة إسرائيل ثقافيًا واجتماعيًا وروحيًا بصفتها عضوًا في الأسر الدولية وتطبيقًا حيويًا وإبداعيًا للروح اليهودية.

أنواع الحركات الصهيونية

بدأت الصهيونية كحركة رئوية في أوروبا الشرقية الصهيونيين الأوائل كانوا من أبناء الجيل الناشئ في الستينات والسبعينات للقرن التاسع عشر، تأثروا إلى حد عميق بالتفكير الراديكالي للعصر. وهذا الجيل شكل حركة المسكالا «التنوير اليهودي» والتي كانت تنتظر حلول عصر عادل تنال فيه جميع الأقليات مكانًا متساويًا وتحقيق الحكم الذاتي لكن فريقا آخر من أمثال سمولنسكي (١٨٤٢-١٨٨٥) وليلينبلوم (١٨٤٣-١٩١٠) دعا إلى قيام قومية يهودية علمانية في فلسطين كشرط لتطور اليهود في العصر الحديث ومن رحم هذا الاتجاه اليهودي ولدت حركة «أحباء صهيون» التي تزعمها ليونبسكر (١٨٢١-١٨٩١) واعتمدوا على فكرة «التحرر الذاتي» عن طريق الهجرة إلى فلسطين، وتأسيس المستعمرات الزراعية هناك، وبالفعل فقد أنشأوا المستوطنة الصهيونية الأولى «بتاح تكفا ١٨٨١»

١. الصهيونية العملية : طورت تقليد أحباء صهيون، إقامة تعاونيات زراعية في فلسطين حيث أصبح غوردون (١٨٥٦-١٩٢٢) القائد الفعلي لها، وقد نادى بضرورة العمل في أرض إسرائيل.

٢. الصهيونية السياسية : التشديد على قيام الدولة اليهودية المستقلة سياسيًا، تزعمها بنسكر وهرتزل (١٨٦٠-١٩٠٤).

٣. الصهيونية الثقافية : علمانية الاتجاه ، اتخذت مضمونًا أكثر ميتافيزيقية للفكرة الصهيونية عملت على إنهاض ثقافة يهودية، والبحث عن معنى جديد للهوية اليهودية.

ترأس هذا الجناح أحدها عام (١٨٥٦-١٩٢٧) قام أيضًا كما فعل من قبله بنسكر بتكييف الحركة على أساس هيغلي ففي مقالة عنوانها «اليهودية ونيتشه» أكد فيه آحادها عام على أن اليهود شعب متفوق في جوهره واتفق مع رأي نيتشه القائل بأن «الغاية الأخلاقية الأسمى ليست في تقدم الجنس البشري ككل، بل في تحقيق إنسان أكثر كمالاً بين النخبة المختارة »

كما أنه يؤكد في فقرة أخرى من المقال المذكور بأن اليهود «اعتبروا اختيارهم بمثابة غاية تعلو على كل ما عداها ، وليس كوسيلة لإسعاد باقي البشرية ».



الأيديولوجية الصهيونية

■■■■■

تعريف الأيديولوجية :

مجرد تزييف أو تعميه للواقع ، إنها نسق من الآراء والأفكار السياسية والقانونية ، والأخلاقية، والجمالية، والدينية، والفلسفية .

وهي مجموعة متماسكة من المبادئ والمثل والمعايير التي تعبر عن نظرة جماعة معينة إلى الغرض أو الأغراض الأخيرة للحياة الاجتماعية والسياسية والروحية، ومن مجموعة متماثلة من المعتقدات التي تعبر عن موقف هذه الجماعة عن طبيعة الواقع الاجتماعي والاتجاهات التاريخية.

والأيديولوجية باعتبارها منظومة متماسكة من المعتقدات والأفكار تتكون من :

١- العنصر المعياري : المبادئ والمثل والمعايير التي تعبر عن نظرة الجماعة إلى الحياة السياسية والاجتماعية.

٢- عنصر نظري : معتقدات الجماعة المعبرة عن موقفها من طبيعة الواقع الذي تحيا في كنفه.

٣- فلسفة الجماعة : في نظرتها للحياة ومركز الإنسان فيه.

تعريف الأيديولوجية الصهيونية :

هي مجموعة من المعتقدات الزائفة والتي لا تتطابق مع الواقع، وهي نسق كاذب

وغير منطقي وبعيدًا عن الحقيقة ، اعتمدت على الفلسفة للبرهنة على نتائج سياسية، وهي تحقيق لرؤية سياسية اعتمادًا على الأساس الديني ، وقوى ذرائعية .

أسس الأيديولوجية الصهيونية

تعتمد الايديولوجيا الصهيونية على مقولات زمانية أهمها:

١- لليهود جسد واحد متناسق ، ممتد في الزمان والمكان ، والمشكلة اليهودية ولدت من رحم الدياسبورا.

٢- ضرورة تجميع اليهود في مكان واحد «العودة لأرض الميعاد».

٣- حفاظ اليهود على تمايزهم عبر التاريخ.

المقولات الفلسفية الصهيونية ودحضها :

١. اعتبرت الحركة الصهيونية أن الفكر يخلق الواقع الاجتماعي وينتجه، وهذه المقولة خالية من الصحة ولا أساس علمي لها؛ لأن العلم ومناهجه المختلفة يؤكدان أن الواقع الاجتماعي هو الذي يخلق الفكر، وهو إفراز له، الصهيونية رفضت ذلك وادعت أنها كفكرة هي القوة الخالقة للواقع الاجتماعي الذي عملت على تجسيده فوق أرض فلسطين «تجميع اليهود».

٢. رفضها لفكرة الرابط المنطقي للظواهر، وإنكارها للتأثير المتبادل فيما بينها «الظواهر» وهذا ما يتعارض كليًا مع منطق وأسس المنهج العلمي الذي يقول: أنه يستحيل معرفة وفهم الظاهرة بشكل صحيح بعد عزلها عما يحيطها أو تجريدها من ظروفها العضوية واقتلاعها من بيئتها التاريخية؛ لأنه لا يوجد جوهر ثابت للصهيونية التي لا يمكن إسقاطها على مجرى التاريخ، فلا وجود لجوهر ثابت للصهيونية يبقى ولا يتغير عبر التحولات التاريخية التي تؤثر على الظواهر

والأعراض فقط وليس على الجوهر الدائم نفسه، فهذه رؤية نقدية للتاريخ، فالصهيونية بقولها أن اليهود جوهر ثابت لا يتغير ولا يتأثر بالظواهر الاجتماعية التي تحيط به كلام خال من الصحة، ولو كان ذلك صحيحًا، فلماذا تأثر وجودهم في أوروبا بعد تحولها من النظام الإقطاعي إلى النظام الرأسمالي فلو كان اليهود جوهر لا يتأثر فلماذا برزت المسألة اليهودية ولماذا تغير وضعهم في النظام الرأسمالي ولماذا غادروا أوروبا باتجاه أماكن متعددة من العالم« أمريكا مثلا» ؟.

٣- رفض التغير والانتقال من حالة إلى أخرى والادعاء بالاستقرار، علمًا أن الكون بكافة ظواهره الاجتماعية والمادية في حالة تغير مستمر فحسب هراقليطس فإن كل شيئ في تغير مستمر، والمرء لا يستطيع أن ينزل إلى النهر مرتين .

٤- إزالة فكرة التناقض من الدائرة اليهودية لا تناقض بين ذات يهودية وذات يهودية أخرى لا في الزمان أو المكان وبالتالي فلا يوجد تناقض بين اليهود والصهيونية.

الأغيار.

العالم .

اليهود.

تناقض جدلي منعكس في الفكر

وبالطبع فإن ذلك يعتبر منهجًا ميتافيزيقيًا.

وكأن المقولات الصهيونية لا تدركها الحواس ولا يستوعبها العقل المفكر العقل الإنساني وهذا خال من الصحة لأن تلك المقولات ما هي إلا مقولات وضعية تم فهمها فلسطينيًا بل وتم تجاوزها وعلى هذا الاساس نخوض الصراع بكافة الوسائل

ومختلف السبل.

و مهما حاول الصهاينة الوقوف في وجه الحقيقة الفلسطينية ومحاربتها ، فإنهم لن ينجحوا في استمرار تبريرهم؛ لاغتصابهم للحق الفلسطيني النقيض الرئيسي لهم ولمقولاتهم.

الأفكار والمعتقدات :

- تستمد الصهيونية فكرها ومعتقداتها من الكتب المقدسة التي حرفها اليهود، وقد صاغت الصهيونية فكرها في بروتوكولات حكماء صهيون .

- تعتبر الصهيونية جميع يهود العالم أعضاء في جنسية واحدة هي الجنسية الإسرائيلية .

- تهدف الصهيونية إلى السيطرة اليهودية على العالم كما وعدهم إلههم يهوه ، وتعتبر المنطلق لذلك هو إقامة حكومتهم على أرض الميعاد التي تمتد من نهر النيل إلى نهر الفرات .

- يعتقدون أن اليهود هم العنصر الممتاز الذي يجب أن يسود وكل الشعوب الأخرى خدم لهم .

- يرون أن أقوم السبل لحكم العالم هو إقامة الحكم على أساس التخويف والعنف .

- يدعون إلى تسخير الحرية السياسية من أجل السيطرة على الجماهير ويقولون : يجب أن نعرف كيف نقدم لهم الطعم الذي يوقعهم في شباكنا .

- يقولون : لقد انتهى العهد الذي كانت فيه السلطة للدين ، والسلطة اليوم للذهب وحده فلابد من تجميعه في قبضتنا بكل وسيلة لتسهل سيطرتنا على العالم .

- يرون أن السياسة نقيض للأخلاق، ولا بد فيها من المكر والرياء أما الفضائل

والصدق فهي رذائل في عرف السياسة .

• يقولون : لا بد من إغراق الأمميين في الرذائل بتدبيرنا عن طريق من نهيئهم لذلك من أساتذة، وخدم، وحاضنات، ونساء الملاهي .

• يقولون : يجب أن نستخدم الرشوة والخديعة والخيانة دون تردد ما دامت تحقق مآربنا .

• يقولون : يجب أن نعمل على بث الفزع الذي يضمن لنا الطاعة العمياء ويكفي أن يشتهر عنا أننا أهل بأس شديد ليذوب كل تمرد وعصيان .

• يقولون : تنادي بشعارات الحرية، والمساواة، والإخاء لينخدع بها الناس ويهتفوا وينساقوا وراء ما نريد لهم .

• يقولون : لا بد من تشييد ارستقراطية تقوم على المال الذي هو في يدنا والعلم الذي اختص به علماؤنا .

• يقولون : سنعمل على دفع الزعماء إلى قبضتنا وسيكون تعيينهم في أيدينا واختيارهم يكون حسب وفرة أنصبتهم من الأخلاق الدينية وحب الزعامة، وقلة الخبرة .

• يقولون : سنسيطر على الصحافة تلك القوة الفعالة التي توجه العالم نحو ما نريد .

• يقولون : لا بد من توسيع الشقة بين الحكام والشعوب، وبالعكس ليصبح السلطان كالأعمى الذي فقد عصاه ويلجأ إلينا لتثبيت كرسيه .

• يقولون : لا بد من إشعال نار الخصومة الحاقدة بين كل القوى لتتصارع وجعل السلطة هدفًا مقدسًا تتنافس كل القوى وتسقط الحكومات وتقوم حكومتنا العالمية

على أنقاضها .

• يقولـون : سـتقدم إلى الشـعوب الفقـيرة المظلومـة في زي محرريهـا ومنقـذيها مـن الظلـم ونـدعوها إلى الانضـمام إلى صـفوف جنودنـا مـن الاشـتراكيين والفوضـويين والشيوعيين والماسونيين وبسبب الجوع ستتحكم في الجماهـير ونسـتخدم سـواعدهم لسحق كل من يعترض سبيلنا .

• يقولون : لا بد أن نفتعل الأزمات الاقتصادية، لكي يخضـع لنـا الجميـع بفضـل الذهب الذي احتكرناه .

• يقولون : إننا الآن بفضل وسائلنا الخفية في وضع منيع بحيـث إذا هاجمتنـا دولـة نهضت أخرى للدفاع عنا .

• يقولون : أن كلمة الحرية تدفع الجماهير إلى الصراع مع الله ومقاومة سنته ويتغير أعضاؤها على الدوام وهي الكفيلة بتوجيه حكام الأمميين كما نريد .

• يقولون : لا بد أن نهدم دولة الإيمان في قلوب الشعوب وننزع من عقولهم فكرة وجود الله ونحل محلهـا قـوانين رياضـية ماديـة لأن الشـعب يحيـا سـعيدًا هانئًا تحـت رعاية دولة الإيمان . ولكي لا ندع للنـاس فرصـة المراجعـة يجـب أن نشـغلهم بشـتى الوسائل، وبذلك لا يفطنوا لعدوهم العام في الصراع العالمي .

• يقولون : لا بدّ أن نتبع كل الوسائل التي تتولى نقل أموال الأمميين مـن خـزائنهـم إلى صناديقنا .

• يقولون : سنعمل على إنشاء مجتمعات مجردة من الإنسانية والأخلاق ، متحجرة المشاعر ، ناقمة أشد النقمة عـلى الـدين والسياسـة ،ليصـبح رجاؤهـا الوحيـد تحقيـق الملاذ المادية ، وحينئـذ يصـبحون عـاجزين عـن أي مقاومـة؛ فيقعـون تحـت أيـدينا

صاغرين .

• يقولون : سنقبض بأيدينا على كل مقاليد القوى ونسيطر على جميع الوظائف وتكون السياسة بأيدي رعايانا وبذلك نستطيع في كل وقت بقوتنا محو كل معارضة مع أصحابها من الأمميين .

• يقولون : لقد بثثنا بذور الشقاق في كل مكان بحيث لا يمكن اجتثاثه ، وأوجدنا التنافر بين مصالح الأمميين المادية والقومية وأشعلنا نار النعرات الدينية والعنصرية في مجتمعاتهم ولم ننفك عن بذل جهودنا في إشعالها منذ ٢٠ قرنًا ولذلك من المستحيل على أي حكومة أن تجد عونًا من أخرى لضربنا، وأن الدول لن تقدم على إبرام أي اتفاق مهما كان ضئيلًا دون موافقتنا لأن محرك الدول في قبضتنا .

• يقولون : لقد هيأنا الله لحكم العالم وزودنا بخصائص ومميزات لا توجد عند الأمميين ولو كان في صفوفهم عباقرة لاستطاعوا مقاومتنا .

• يقولون : لا بد من الانتفاع بالعواطف المتأججة لخدمة أغراضنا عوض إخمادها ولا بد من الاستيلاء على أفكار الآخرين، وترجمتها بما يتفق مع مصالحنا بدل قتلها .

• يقولون : سنولي عناية كبرى بالرأي العام إلى أن نفقده القدرة على التفكير السليم، ونشغله حتى نجعله يعتقد أن شائعاتنا حقائق ثابتة ونجعله غير قادر على التمييز بين الوعود الممكن إنجازها والوعود الكاذبة فلا بد أن نكون هيئات يشتغل أعضاؤها بإلقاء الخطب الرنانة التي تغدق الوعود ولا بد أن نبث في الشعوب فكرة عدم فهمهم للسياسة، وخير لهم أن يدعوها لأهلها .

• يقولون : سنكثر من إشاعة المتناقضات ونلهب الشهوات ونؤجج العواطف .

• يقولون : سننشئ « إدارة الحكومة العليا » ذات الأيدي الكثيرة الممتدة إلى كل

أقطار الأرض والتي يخضع لها كل الحكام .

• يقولون : يجب أن نسيطر على الصناعة والتجارة ونعود الناس على البذخ والترف والانحلال، ونعمل على رفع الأجور وتيسير القروض ومضاعفة فوائدها عند ذلك سيخر الأمميون ساجدين بين أيدينا .

• يقولون : في الرسميات يجب علينا أن نتظاهر بنقيض ما نضمر فنستنكر الظلم وننادي بالحريات ونندد بالطغيان .

• يقولون : أن الصحافة جميعها بأيدينا إلا صحفًا قليلة غير محتفل بها ، وسنستعملها لبث الشائعات حتى تصبح حقائق وسنشغل بها الأمميين عما ينفعهم ونجعلهم يجرون وراء الشهوة والمتعة .

• يقولون : الحكام أعجز من أن يعصوا أوامرنا؛ لأنهم يدركون أن السجن أو الاختفاء من الوجود مصير المتمرد منهم فيكونوا طاعة لنا وأشد حرصًا ورعاية لمصالحنا .

• يقولون : سنعمل على الا يكشف مخططنا قبل وقته ولا نهدم قوة الأمميين قبل الأوان .

• يقولون : نحن الذين وضعنا طريقة التصويت ونظام الأغلبية المطلقة ليصل إلى الحكم كل من نريد بعد أن نكون قد هيأنا الرأي العام للتصويت عليهم .

• يقولون : سنفكك الأسرة وننفخ روح الذاتية في كل فرد ليتمرد ونحول دون وصول ذوي الامتياز إلى الرتب العالية .

• يقولون : لا يصل إلى الحكم إلا أصحاب الصحائف السود غير المكشوفة وهؤلاء سيكونون أمناء على تنفيذ أوامرنا خشية الفضيحة والتشهير . كما نقوم

بصنع الزعامات وإضفاء العظمة والبطولة عليها .

• يقولون : سنستعين بالانقلابات، والثورات كلما رأينا فائدة لذلك .

• يقولون : لقد أنشأنا قوانا الخفية لتحقيق أهدافنا ولكن البهائم من الأميين يجهلون أسرارها فوثقوا بها وانتسبوا إلى محافلها فسيطرنا عليهم وسخرناهم لخدمتنا .

• يقولون : أن تشتيت شعب الله المختار نعمة وليست ضعفًا وهو الذي أفضى بنا إلى السيادة العالمية .

• يقولون : ستكون كل دور النشر بأيدينا وستكون سجلات التعبير عن الفكر الإنساني بيد حكومتنا وكل دار تخالف فكرنا سنعمل على إغلاقها باسم القانون .

• يقولون : ستكون لنا مجلات وصحف كثيرة مختلفة النزعات والمبادئ وكلها تخدم أهدافنا .

• يقولون : لا بد أن نشغل غيرنا بألوان خلابة من الملاهي والألعاب والمنتديات العامة والفنون الجنسية والمخدرات لنلهيهم عن مخالفتنا أو التعرض لمخططاتنا .

• يقولون : سنمحو كل ما هو جماعي، وسنبدأ المرحلة بتغيير الجامعات وسنعيد تأسيسها حسب خططنا الخاصة .

• يقولون : سنتصرف مع كل من يقف في طريقنا بكل عنف وقسوة .

• يقولون : سنكثر من المحافل الماسونية، وننشرها في كل وسط لتوسيع نطاق سيطرتنا.

• يقولون : عندما تصبح السلطة في أيدينا؛ لن نسمح بوجود دين غير ديننا على الأرض .

***

الجذور الفكرية والعقائدية :

• الصهيونية قديمة قدم التوراة نفسها، وهي التي أججت الروح القومية عند اليهود منذ أيامها الأولى . وحركة هرتزل إنما هي تجديد وتنظيم للصهيونية العديمة .

• تقوم الصهيونية على تعاليم التوراة المحرفة والتلمود . ولكن لا بدّ من الإشارة إلى أن عددًا من زعماء الصهيونية هم من الملاحدة ، واليهودية عندهم ليست سوى ستار لتحقيق المطامع السياسية والاقتصادية .

• تعتبر أكثرية من اليهود ما يعرف بالتلمود دستورًا دينيًا وهو مؤلف من بحوث أحبار اليهود وفقهائهم وقد رسموا فيه الحدود لكل جوانب الحياة الخاصة والعامة وقد دون فيه من الأحكام والتعليمات ما يبرر وضعهم الاجتماعي والسياسي وما يغرس في نفوسهم ونفوس أجيالهم اللاحقة احتقار المجتمع البشري وحب الانتقام منه وأكل أموال الناس بالباطل والسطو على أرواحهم، وأعراضهم، وأموالهم واستنزاف دماء غير اليهود لا ستعمالها في بعض المناسبات الدينية حيث يستعمل الدم البشري بوضع نقط منه على فطير الفصح أو غيره .

الانتشار ومواقع النفوذ :

• الصهيونية هي الواجهة السياسية لليهودية العالمية وهي كما وصفها اليهود أنفسهم (مثل الإله الهندي فشنو الذي له مائة يد)، فهي لها في جل الأجهزة الحكومية في العالم يد مسيطرة موجهة تعمل لمصلحتها .

• هي التي تقود إسرائيل وتخطط لها .

• الماسونية تتحرك بتعاليم الصهيونية وتوجيهاتها وتخضع لها زعماء العالم ومفكريه .

• للصهيونية مئات الجمعيات في أوروبا وأمريكا في مختلف المجالات التي تبدو متناقضة في الظاهر لكنها كلها في الواقع تعمل لمصلحة اليهودية العالمية .

• هناك من يبالغ في قوتها مبالغة كبيرة جدًّا ، وهناك من يهون من شأنها ، والرأيان فيهما خطأ على أن استقراء الواقع يدل على أن اليهود الآن يحيون فترة علو استثنائية .

يتضح مما سبق :

أن الصهيونية حركة سياسية عنصرية متطرفة ترمي لحكم العالم كله من خلال دولة اليهود في فلسطين ، واسمها مشتق من اسم جبل صهيون في فلسطين ، وقد قامت على تحريف تعاليم التوراة والتلمود التي تدعو إلى احتقار المجتمع البشري وتحض على الانتقام من غير اليهود . وقد قنن اليهود مبادئهم الهدامة فيما عرف ببروتوكولات حكماء صهيون التي تحوي بحق أخطر مقررات في تاريخ العالم .



الفصل الرابع

المنظمة الصهيونية العالمية

((بالإنجليزية: World Zionist Organization) واختصارها WZO ؛ بالعبرية :ההסתדרות הציונית העולמית) تأسست تحت اسم المنظمة الصهيونية Zionist Organization (بالعبرية :ההסתדרות הציונית)، أو ZO، سنة ١٨٩٧ في المؤتمر الصهيوني الأول، الذي انعقد في ٢٩ أغسطس ١٨٩٧ في بازل، سويسرا. عملت المنظمة الصهيونية كمؤسسة خدمية للحركة الصهيونية، التي كانت تهدف لإنشاء الدولة اليهودية لإسرائيل في منطقة ما كان يُعرف بفلسطين. تيودور هرتزل، بالتعاون مع ماكس نورداو، نظم المؤتمر الأول، كتب لاحقًا في يومياته: إذا أردت تلخيص المؤتمر في كلمة – سوف أعمل على ألا تُنشر – فستكون التالي: في بازل أسستُ الدولة اليهودية. لو قلت ذلك على الملأ اليوم فسيضحك عليّ الجميع. ولكن ربما في خمس سنوات، وبالتأكيد في خمسين سنة، سيمكن للجميع رؤيتها.

وعند إعلان تأسيس دولة إسرائيل بعد ٥١ سنة من تأسيس المنظمة، في ١٤ مايو ١٩٤٨، كان العديد من مؤسسات الدولة الإدارية موجودًا بالفعل على الأرض، بنموه الذي تابعته المؤتمرات الصهيونية في العقود السابقة للاستقلال. بعض هذه المؤسسات مازال موجودًا حتى اليوم.

وفي يناير ١٩٦٠ قامت المنظمة الصهيونية بتغيير اسمها إلى المنظمة الصهيونية العالمية. المقر الرئيسي للمنظمة يقع في القدس.

جذور الصهيونية العالمية

للصهيونية العالمية جذور تاريخية فكرية وسياسية تجعل من الضروري فهم هذه الحركات:

حركة المكابيين التي أعقبت العودة من السبي البابلي (٥٨٦ – ٥٣٨م) قبل

الميلاد، وأول أهدافها العودة إلى صهيون وبناء هيكل سليمان.

حركة باركو خبا (١١٨ - ١٣٨م) وقد أثار هذا اليهودي الحماسة في نفوس اليهود وحثهم على التجمع في فلسطين وتأسيس دولة يهودية فيها.

حركة موزس الكريتي، وكانت شبيهة بحركة باركو خبا.

مرحلة الركود في النشاط اليهودي بسبب اضطهاد اليهود وتشتتهم. ومع ذلك فقد ظل الشعور القومي عند اليهود عنيفًا لم يضعف.

حركة دافيد روبين وتلميذه سولومون مولوخ (١٥٠١م - ١٥٣٢م) وقد حثا اليهود على ضرورة العودة لتأسيس ملك إسرائيل في فلسطين.

حركة منشه بن إسرائيل (١٦٠٤ - ١٦٥٧م) وهي النواة الأولى التي وجهت خطط الصهيونية وركزتها على أساس استخدام بريطانيا في تحقيق أهداف الصهيونية.

حركة شبتاي زفي (١٦٢٦ - ١٦٧٦م) الذي ادعى أنه مسيح اليهود المخلص فأخذ اليهود يستعدون للعودة إلى فلسطين، ولكن مخلصهم مات.

حركة رجال المال التي تزعمها روتشيلد وموسى مونتفيوري، وكانت تهدف إلى إنشاء مستعمرات يهودية في فلسطين كخطوة أولى لامتلاك الأرض ثم إقامة دولة اليهود.

الحركة الفكرية الاستعمارية التي دعت إلى إقامة دولة يهودية في فلسطين في بداية القرن التاسع عشر.

حركة صهيونية عنيفة قامت إثر مذابح اليهود في روسيا سنة ١٨٨٢م وفي هذه الفترة ألف هيكلر الجرماني كتاب بعنوان (إرجاع اليهود إلى فلسطين حسب أقوال

الأنبياء).

الصهيونية الحديثة، وهي الحركة المنسوبة إلى تيودور هرتزل الصحفي اليهودي النمساوي (١٨٦٠ - ١٩٠٤م) وهدفها الأساسي الواضح قيادة اليهود إلى حكم العالم بدءًا بإقامة دولة لهم في فلسطين. وقد فاوض السلطان عبد الحميد بهذا الخصوص في محاولتين، لكنه أخفق، عند ذلك عملت اليهودية العالمية على إزاحة السلطان، وإلغاء الخلافة الإسلامية.

وقد أقام هرتزل أول مؤتمر صهيوني عالمي سنة ١٨٩٧م، ونجح في تجميع يهود العالم حوله كما نجح في جمع دهاة اليهود الذين صدرت عنهم أخطر مقررات في تاريخ العالم وهي «بروتوكولات حكماء صهيون» المستمدة من تعاليم كتب اليهود، ومن ذلك الوقت أحكم اليهود تنظيماتهم وأصبحوا يتحركون بدقة ودهاء وخفاء لتحقيق أهدافهم التدميرية التي أصبحت نتائجها واضحة للعيان في زمننا



الفصل الخامس

صهينة الأديان

الصهيونية المسيحية

المفاهيم الأساسية للمسيحية الصهيونية

حمل غالبية المهاجرين الأوروبيين إلى الأراضي الأمريكية العقيدة البروتستانتية الأصولية، التي كانوا يحاولون تطبيقها في مجتمعاتهم ولم ينجحوا. ومنذ بداية تأسيس الدولة الأمريكية في القرن الـ١٧ لعبت الرؤى الأصولية المسيحية البروتستانتية دورا كبيرا في تشكيل هوية الدولة.

المسيحية الصهيونية

تأثرت العقيدة البروتستانتية كثيرًا باليهودية، ونتج عن هذا التأثر تعايش يشبه التحالف المقدس بين البروتستانتية واليهودية بصورة عامة، وخلقت علاقة أكثر خصوصية بين الصهيونية اليهودية، والبروتستانتية الأصولية.

وتتميز البروتستانتية في الولايات المتحدة بصفتين يمكن من خلالهما فهم محاور حركة المسيحية الصهيونية:

- هيمنة الاتجاه الأصولي على البروتستانتية.
- سيطرة التهود على الأصوليين البروتستانتيين.

وآمنت المسيحية الصهيونية Christian Zionism «قبل تأسيس دولة إسرائيل» بضرورة عودة الشعب اليهودي إلى أرضه الموعودة في فلسطين، وإقامة كيان يهودي فيها يمهد للعودة الثانية للمسيح، وتأسيسه لمملكة الألف عام.

وتمثل فكرة عودة اليهود إلى فلسطين حجر الأساس في فكر المسيحية الصهيونية، لذا كانت فكرة إنشاء «وطن قومي لليهود في فلسطين» التي آمن بها المسيحيون البروتستانت قبل إيمان اليهود أنفسهم بها هي أهم ما يجمع بين الطرفين.

ومصطلح المسيحية الصهيونية لم يتم الإشارة إليه كثيرًا قبل حقبة التسعينيات من القرن الماضي، وتصنف هذه المدرسة ضمن جماعات حركة البروتستانت الإنجيليين Protestant Evangelical، ولهذه الحركة ما يقرب من ١٣٠ مليون عضو في كل قارات العالم.

ويمكن تعريف المسيحية الصهيونية بأنها «المسيحية التي تدعم الصهيونية»، وأصبح يطلق على من ينتمون إلى هذه الحركة اسم «مسيحيين متصهينين».

وتتلخص فكرة هذه الحركة في ضرورة المساعدة لتحقيق نبوءة الله من خلال تقديم الدعم لإسرائيل.

وتريد المسيحية الصهيونية إعادة بناء الهيكل اليهودي في الموقع الذي يقوم عليه المسجد الأقصى اليوم. وفي نظرهم يتم ذلك عن طريق تحقيق هيمنة إسرائيلية كاملة على كل «فلسطين»، كون فلسطين هي (الأرض الموعودة). وتعتقد المسيحية الصهيونية أن من شأن القيام بذلك تعميم البركة الإلهية على العالم كله.

نشأة الحركة

نشأت المسيحية الصهيونية -كما نعرفها اليوم- في إنجلترا في القرن الـ١٧، حيث تم ربطها بالسياسة لا سيما بتصور قيام دولة يهودية حسب زعمها لنبوءة الكتاب المقدس، ومع بدء الهجرات الواسعة إلى الولايات المتحدة أخذت الحركة أبعادا سياسية واضحة وثابتة، كما أخذت بعدا دوليًّا يتمثل في تقديم الدعم الكامل للشعب اليهودي في فلسطين.

وتتصل جذور هذه الحركة بتيار ديني يعود إلى القرن الأول للمسيحية ويسمى بتيار الألفية (Millenarianism)، والألفية هي معتقد ديني نشأ في أوساط المسيحيين من أصل يهودي، وهو يعود إلى استمرارهم في الاعتقاد بأن المسيح سيعود إلى هذا العالم محاطًا بالقديسين ليملك في الأرض ألف سنة، ولذلك سموا بالألفية.

هناك تفسير اعتمد تاريخيًا في العقيدة المسيحية ينص على أن الأمة اليهودية انتهت بمجيء المسيح، وأن خروج اليهود من فلسطين كان عقابا لهم على صلب السيد المسيح، وأن فلسطين هي إرث المسيح للمسيحيين، إلا أن ظهور حركة الإصلاح الديني في أوروبا في القرن الـ١٦ تبنت مقولة أن «اليهود هم شعب الله المختار»، وأنهم الأمة المفضلة عند الرب، وأن هناك وعدًا إلهيًا يربط اليهود بفلسطين، لذا ارتبط الإيمان المسيحي البروتستانتي بعد حركة الإصلاح بالإيمان بعودة المسيح الثانية بشرط قيام الكيان الصهيوني على كل أرض فلسطين.

وحدث انقسام بين منظري المسيحية الصهيونية في القرن الـ١٩، وظهرت مدرستان، البريطانية الداعمة لنظرية تحول اليهود للمسيحية قبل عودتهم لفلسطين كمسيحيين، والأمريكية التي آمنت بأن اليهود سيعودون إلى فلسطين كيهود قبل تحولهم للمسيحية.

ورأس فكر المدرسة الأمريكية القس الأيرلندي جون نيلسون داربي الذي يعتبر بمثابة الأب الروحي لحركة المسيحية الصهيونية الأمريكية.

وخلال ٦٠ عامًا بشر داربي لنظريته بكتابة العديد من المؤلفات التي فصلت رؤيته لنظرية عودة المسيح الثانية، ونظرية الألفية. وقام داربي بست زيارات تبشيرية للولايات المتحدة، ومن ثم أصبح داعية مشهورًا ومدرسًا له أتباع كثيرون.

وحمل لواء الحركة من داربي عدة قساوسة من أشهرهم داويت مودي الذي عرف بترويجه لنظرية «شعب الله المختار»، ووليام يوجين بلاكستون الذي ألف كتاب «المسيح آت» عام ١٨٨٧ وأكد فيه على نظرية حق اليهودي طبقًا لقراءته للتوراة في فلسطين. إلا أن أكثر المنظرين تطرفا كان القس سايروس سكوفيلد الذي ألف كتابا عنوانه «إنجيل سكوفيلد المرجعي» عام ١٩١٧، وهو الكتاب الذي أصبح بمثابة المرجع الأول لحركة المسيحية الصهيونية.

ومن أشهر السياسيين الذين أسهموا في نمو حركة المسيحية الصهيونية عضو البرلمان البريطاني اللورد شافتسبري، وكان شافتسبري مسيحيًّا محافظًا وعلى علاقة جيدة بصانعي السياسة البريطانيين في منتصف القرن الـ١٩. وفي العام ١٨٣٩ ذكر شافتسبري في مقال نشر في دورية شهيرة Quarterly Review أنه «يجب أن نشجع عودة اليهود إلى فلسطين بأعداد كبيرة، حتى يستطيعوا مرة أخرى القيام بالرعي في سامراء والجليل»، وكان ذلك قبل ٥٧ عامًا من ظهور الحركة الصهيونية العالمية، وكان اللورد شافتسبري هو أول من وصف اليهود وفلسطين قائلاً: «شعب بلا وطن.. لوطن بلا شعب».

يعد تيودور هرتزل مؤسس الصهيونية الحديثة هو أول من استخدم مصطلح «الصهيونية المسيحية»، وعرف المسيحي المتصهين بأنه «المسيحي الذي يدعم الصهيونية»، بعد ذلك تطور المصطلح ليأخذ بعدًا دينيًّا، وأصبح المسيحي المتصهين هو «الإنسان الذي يساعد الله لتحقيق نبوءته من خلال دعم الوجود العضوي لإسرائيل، بدلاً من مساعدته على تحقيق برنامجه الإنجيلي من خلال جسد المسيح».

تيودور هرتزل نفسه آمن وطرح فكرة الدولة اليهودية ولم تكن دوافعه دينية بالأساس، فهو قومي علماني، وأعلن استعداده لقبول استيطان اليهود في أوغندا أو

العراق أو كندا أو حتى الأرجنتين، أما المسيحيون المتصهينون فقد آمنوا بأن فلسطين هي وطن اليهود، واعتبروا ذلك شرطًا لعودة المسيح، لذا انتقدوا الموقف المتساهل من قبل تيودور هرتزل.

في التعريف والمصطلحات

تم تعريف الصهيونية المسيحية على أنها «الدعم المسيحي للصهيونية». وقد قيل أيضًا أنها «حركة قومية تعمل من أجل عودة الشعب اليهودي إلى فلسطين وسيادة اليهود على الأرض». ويعتبر الصهيونيون المسيحيون أنفسهم كمدافعين عن الشعب اليهودي وخاصة «دولة إسرائيل» ويتضمن هذا الدعم معارضة كل من ينتقد أو يعادي «إسرائيل».

«والتر ريغنز» الأمين العام لما يسمى «السفارة المسيحية الدولية» وهي من أحدث وأخطر المؤسسات الصهيونية ومركزها في القدس، يعرف اصطلاح الصهيونية المسيحية بطريقة سياسية وعلى أنه -أي التعريف- أي مسيحي يدعم الهدف الصهيوني لدولة إسرائيل وجيشها وحكومتها وثقافتها... إلخ.

أما القس «جيري فالويل» مؤسس جماعة العمل السياسي الأصولي المسماة «الأغلبية الأخلاقية» وهو الذي منذ فترة تكلم واتهم دين الإسلام بأنه دين إرهابي، فإنه يقول: «إن من يؤمن بالكتاب المقدس حقًا يرى المسيحية ودولة إسرائيل الحديثة مترابطتين على نحو لا ينفصم، أن إعادة إنشاء دولة إسرائيل في العام ألف وتسعمائة وثمانية وأربعين لهي في نظر كل مسيحي مؤمن بالكتاب المقدس تحقيق لنبوءات العهدين القديم والجديد». سنتعرض لهذه المسألة بعد قليل، إنما وفي ختام التعريفات أقول أن الصهيونية المسيحية في نهاية المطاف تعبر، وكما جاء في بيان اللجنة التنفيذية لمجلس كنائس الشرق الأوسط في نيسان (أبريل) عام ألف

وتسعماية وستة وثمانين (١٩٨٦)، عن مأساة في استعمال الكتاب المقدس، واستغلال المشاعر الدينية في محاولة تقديس إنشاء دولة ما، وتسويغ سياسات حكومة مخصوصة.

إذن لا يوجد مكان للصهيونية المسيحية في الشرق الأوسط، ويجب أن تنبذ من قبل الكنيسة العالمية، إنها تشويه خطير وانحراف كبير عن الإيمان المسيحي الحقيقي المتركز في السيد المسيح كما أنها تدافع عن برنامج سياسي قومي يعتبر الجنس اليهودي متفوقًا. وكما وصفها أحد القادة في الكنيسة الأنغليكانية:«إن إعطاء وكيل عقارات إلى الله يحطم القلب...إنهم لا يكترثون بالمسيح أبدًا».وبكلمات رجل دين فلسطيني محلي :«إنهم أدوات تدمير وخراب، وهم لا يعطون أي اعتبار أو أهمية للمسيحيين الأصليين في هذه البلاد»

الصهيونية المسيحية البريطانية

إلا أن بوادر تفسير الكتب المقدسة تفسيرًا حرفيًّا وربطها بالسياسة، ولا سيما بتصور دولة يهودية تتميًا -حسب زعم الألفيين- لنبوءة الكتاب المقدس، فقد بدأت بشكل بارز في بريطانيا في القرن السابع عشر.

وقد تسارع هذا التطور إبان العصر الطهري «البيوريتاني»، بعد أن كانت تلك المعتقدات الألفية قد تراجعت في العهد «الإلزابيتي». فمن هذا الإتجاه نذكر:

- استعمال العبرية لغة للصلاة في الكنائس.

- نقل يوم ذكرى قيام السيد المسيح من يوم الأحد إلى يوم السبت اليهودي.

- مطالبة بعض البيوريتانيين الحكومة بأن تعلن التوراة أي: العهد القديم دستورًا لبريطانيا.

- ونجد في العام ألف وخمسمائة وثمانية وثمانين (١٥٨٨) رجلًا بريطانيا من رجال الدين واسمه «بريتمان» (١٥٦٢-١٦٠٧)، يدعو إلى إعادة اليهود إلى الأراضي المقدسة تتميًا لنبوءة الكتاب المقدس

- وفي العام ألف وستمائة وخمسة عشر (١٦١٥) دعا البرلماني البريطاني «السير هنري فينش» الحكومة إلى دعم عودة اليهود إلى فلسطين حيث كتب:«ليس اليهود قلة مبعثرة، بل إنهم أمة، ستعود أمة اليهود إلى وطنها، وستعمر كل زوايا الأرض..وسيعيش اليهود بسلام في وطنهم إلى الأبد».

إلا أن الركيزة الدينية / السياسية/ الأيديولوجية الأولى للصهيونية المسيحية في بريطانيا قامت على يد «أوليفر كروميل»، فقد كان هذا الأخير على مدى عشر سنوات (١٦٤٩-١٦٥٩) رئيسًا للمحفل البيوريتاني، وهو الذي دعا إلى عقد مؤتمر عام ألف وستمائة وخمسة وخمسين (١٦٥٥) للتشريع لعودة اليهود إلى بريطانيا، أي إلغاء قانون النفي الذي اتخذه الملك «إدوارد». ففي هذا المؤتمر تم ربط الصهيونية المسيحية بالمصالح الإستراتيجية لبريطانيا، ومن خلال عملية الربط تلك تحمس «كروميل» لمشروع التوطين اليهودي في فلسطين منذ ذلك الوقت المبكر.

بعد العام ألف وثمانمائة برز«القس لويس واي» الذي صار مدير الجمعية اللندنية لترويج المسيحية بين اليهود في العام ألف وثمانمائة وتسعة (١٨٠٩)، وقد تحولت الجمعية بجهوده قوة كبرى في التعبير عن عقائد الصهيونية المسيحية بما فيها عودة اليهود إلى فلسطين.

شخصية أخرى ساهمت في تطوير هذا الاتجاه في بريطانيا هو «الشريف هنري دارموند» عضو مجلس العموم البريطاني. فقد تخلى «دارموند» عن عمله السياسي بعد زيارة الأرض المقدسة، ونذر حياته لتعليم الأصولية المسيحية والكتابة عنها

وعن صلتها بعودة اليهود إلى فلسطين.

أما «اللورد شافتسبوري» (١٨١٨-١٨٨٥)، وهو من أكابر المصلحين الاجتماعيين الإنجيليين البريطانيين، وقد عمل لتخليص بريطانيا من العبودية، ومن ممارسات تشغيل الأحداث الظالمة، فقد كان من الألفيين المتحمسين والمناضلين من أجل عودة اليهود إلى فلسطين، وكانت نظرته تتسم إلى حد بعيد بالعداء لليهود، إذ كان يفضل رؤيتهم يقيمون بالأراضي المقدسة بدلا من إنكلترا.

وأشد الصهيونيين المسيحيين البريطانيين ضلوعًا في السياسة فهو القس «ويليام هشلر» (١٨٤٥-١٩٣١). فقد عمل في السفارة البريطانية بفيينا ونظم عملية تهجير اليهود الروس إلى فلسطين. وفي العام ألف وثمانمائة وأربعة وتسعين (١٨٩٤) نشر كتابًا عنوانه «عودة اليهود إلى فلسطين» وطرح هذه العودة على قاعدة تطبيق النبوءات الدينية الواردة في العهد القديم، والأهم من كل ذلك انه كان من المؤمنين المتحمسين لأبي الصهيونية - تيودور هرتزل - وقد أتاح «هشلر» الدعم السياسي والاتصالات لهرتزل خلال المرحلة الحاسمة، وبذل مساعيه في اللوبي من أجل القضية الصهيونية لمدة تناهز الثلاثين سنة.

وأخيرًا، لا بد من ذكر اسم «اللورد آرثر بلفور» مهندس وعد بلفور الذي صدر في العام ألف وتسعمائة وسبعة عشر (١٩١٧). لقد كان «بلفور» من الألفيين ومن الصهيونيين المسيحيين، وقد أدت لقاءاته بكل من «تيودور هرتزل» و«حاييم وايتزمان» إلى ما يقارب الانسجام، رغم انه كان معروفًا عنه بمواقفه المعادية لليهود.

نهاية العالم على الطريقة الأمريكية

انتقلت في القرن العشرين الصهيونية المسيحية إلى الولايات المتحدة الأميركية، ولا سيما بعد إنشاء دولة إسرائيل وترجمت بعض الآيات الدينية بعد أن حرفت

تفاسيرها الروحية ترجمةً سياسية مباشرة صبت بقوة في دعم دولة إسرائيل. واستخدم الصهيونيون المسيحيون الأميركيون وسائل الإعلام الجماهيرية بشكل منقطع النظير لنشر أفكارهم وأوهامهم وأحلامهم ومعتقداتهم.

فإذا أخذنا على سبيل المثال، نهاية العالم كما تتصوره الصهيونية المسيحية، وجدنا فيه بعض الملامح التي ترافق الغزو الأميركي الحاصل حاليا على العراق، وقبل ذلك، بعض الملامح هي رد الإدارة الأميركية الحالية على أحداث الحادي عشر من أيلول ألفان وواحد (٢٠٠١)، وذلك بشن حملة إرهاب في العالم أجمع تصديًا على حد زعمها للإرهاب الذي طالها.

هذا وإن نهاية العالم على الطريقة الأميركية الصهيونية تستند شكلًا على بعض أسفار العهد القديم، كسفر حزقيال وسفر دانيال، ومن العهد الجديد على سفر رؤيا يوحنا، وتستنتج أن العالم كما نعرفه قد أشرف على النهاية، وأن ألفا من السنين سيبدأ بعد هذه النهاية، وهو يتميز بالسلام ووفرة الخيرات والأخوة بين الناس، وسيحل السلام بين الحيوانات أيضًا. العالم آت إلى نهاية – حسب زعمهم- لا بفعل جنون جنرال أو سياسي يشعل الحرب النووية، بل لأن هذا هو قصد الله. نهاية العالم ليست مدعاة للقلق بنظر «الألفيين» لأنها تمهد لمجيء المسيح الثاني. لكن قبل هذا المجيء على بعض الأحداث أن تقع، إنها «علامات الأزمنة» أي تبشير العالم، وعودة اليهود، وإعادة بناء دولة إسرائيل وظهور «المسيح الدجال»، وموجة من الصراعات. كل هذا يتوج بمعركة «هرمجدون»، وهي قرية مذكورة في سفر الرؤيا، وتقع إلى شمال القدس حيث تزج الأمم الكبيرة في معركة بين «الحق والباطل» وعند اقتراب إفناء العالم يظهر المسيح. وهناك أكثر من رواية تفصيلية لهذا الحدث الانقضائي، لا مجال لذكرها هنا، لكن المهم في هذا التصور «الرؤيوي» أن السلاح

النووي يصبح عندئذ أداة لتحقيق مقاصد «الله»، وأن الميل إلى تفسير أحداث السياسة الدولية بمنظور «نهاية العالم» يصبح مشروعًا، لا بل ضروريًا، علمًا بأن دعاة الألفية مجمعون على اعتبار الشرق الأوسط مسرحًا للحرب-الكارثة المذكورة أعلاه.

نقطة الإرتكاز اللاهوتية «القدرية»

معظم المسيحيين الأصوليين هؤلاء، إن لم يكن كلهم، يسلمون بمذهب «القدرية» أو كما يسميها البعض أيضًا «التدبيرية». والقدرية هي محاولة لتفسير تاريخ علاقة الله بالبشر بأحوال وأحقاب مخصوصة.

يقول «س.أي.سكوفيلد»، من أكابر الناطقين بهذا المذهب: «كل قدر دور من الزمان يمتحن فيه البشر حسبما أوحاه الله من وحي مخصوص».

ويجمع منظرو القدرية في معظمهم على سبعة أقدار أو حقبات زمنية تدل على تطور علاقة الله بالبشر، حيث يمتحن الله الجنس البشري في إطاعة إرادته. «القدر السادس» من هذه الأقدار هو الحقبة الحالية، أي: «دور الكنيسة والنعمة»، وينتهي بعودة المسيح لإقامة مملكته الألفية، وهذا هو «الدور السابع».

إن هذا المذهب يرتكز على افتراضين:

الإفتراض الأول هو الفصل ما بين اسرائيل (أي: الشعب اليهودي،شعب الله على الأرض) والكنيسة (أي شعب الله في السماء).

أما الإفتراض الثاني، فهو وجوب تفسير الكتاب المقدس دائمًا بطريقة حرفية.

وهكذا يؤدي هذا المذهب إلى أقله نتيجتين:

الأولى: أن الأرض هي ملك للشعب اليهودي

والثانية: أن النبوءات المتعلقة برجوع اليهود في الشتات إلى الأرض قد تحققت

ثانية في القرنين التاسع عشر والعشرين.

من هنا نتبين كم أن هذا المذهب هو من جهة تحريف للمسيحية، ومن جهة ثانية أيديولوجيًّا سياسية عنصرية.

السفارة المسيحية والبعد الدولي للصهيونية المسيحية

إن التأييد المسيحي الأصولي لإسرائيل يستند عند الكثيرين كما رأينا إلى «رؤية» للعالم، أو بالأحرى لنهايته، تفترض تبشير اليهود. ولكن، هل أن تبشير اليهود يرضي اليهود؟ وأنا دائما أسأل هذا السؤال. يبدو أن هذا الأمر لا يثير مشكلة كبيرة لدى الساسة الصهاينة، ولو أنه يزرع الشك في نفوس بعض المتشددين اليهود، ذلك أن أولوية كسب التأييد السياسي لدولة إسرائيل تغلب الاعتبارات الدينية الصرفة.

مع ذلك، فإن مواقف أصولية مسيحية صهيونية، ورغبة منها بتطمين اليهود، راحت تقول بعدم تبشير اليهود، بل بالوقوف إلى جانبهم - «تعزيتهم»على حسب ما جاء في سفر أشعياء في التوراة - ٤٠:١-٢ -«عزوا شعبي يقول إلهكم، طيبوا قلب أورشليم ونادوها بأن جهازها قد كمل».

أبرز ممثلي هذا التيار وأخطرهم اليوم هم جماعة «السفارة المسيحية العالمية في القدس». تأسست هذه السفارة في العام ألف وتسعمائة وثمانين (١٩٨٠) ردًا على سحب ثلاثة عشرة دولة سفاراتها من القدس استنكارًا لإعلانها عاصمة لإسرائيل، ولهذه السفارة فروع في خمسين دولة في العالم، ولها في الولايات المتحدة الأميركية عشرون مكتبًا قنصليًا. المكاتب تقوم بعمل دعائي من مختلف الأنواع، وتجمع المساعدات المالية والعينية وتسوق البضائع الإسرائيلية. من نشاطات «السفارة» المؤتمر الدولي للقادة المسيحيين الصهاينة الذي عقد في بازل (سويسرا) خلال شهر

آب عام ألف وتسعمائة وخمسة وثمانين (١٩٨٥) والذي انتهى إلى إصدار بيان، يضيف إلى تكرار المواقف التقليدية المؤيدة لدولة إسرائيل و«التائبة عن اللاسامية»، تهنئة لدولة إسرائيل ومواطنيها على إنجازات الأربعين سنة الأخيرة، ودعوة للاعتراف بالقدس عاصمةً لإسرائيل، وبيهودا والسامرة (الضفة الغربية) كأجزاء من أرض إسرائيل، وتحذيرًا للأمم التي تعادي الشعب اليهودي.

لقد أدان مجلس كنائس الشرق الأوسط هذا البيان بشدة. أن السفارة المسيحية في القدس هي مثال واضح ومفضوح لانحياز التيار المسيحي الأميركي الأصولي لدولة إسرائيل، ولتوظيف الدين توظيفًا مغرضًا في السياسة.

وهناك عدة أصناف من السلوك تصف الصهيونيين المسيحيين كأصدقاء لإسرائيل ومنها:

١ . تشجيع الحوار ما بين اليهود والمسيحيين.

٢ . مقاومة معاداة السامية.

٣. التعريف بالأصول اليهودية للإيمان المسيحي والتركيز عليها لدرجة تبدو فيها المسيحية وكأنها إحدى الطوائف اليهودية.

٤ . العمل الإنساني بين اللاجئين اليهود.

٥ . مقاومة المواقف اليهودية «المعتدلة» التي تسعى إلى التفاوض بموجب مبدأ الأرض مقابل السلام.

الصهيونية المسيحية في ميزان الكنائس الأميركية

تقول الكاتبة «هيلينه كوبان»: «قرأنا جميعا التحليلات الإخبارية التي تشير إلى أن أقوى دعم سياسي حصل عليه أرييل شارون في الولايات المتحدة الأميركية لم يكن

من الطائفة اليهودية الأميركية، ولكن من الجمعيات القوية لليمين المسيحي، هل هذا يعني أن جميع المسيحيين تقريبًا في الولايات المتحدة أصبحوا ضد المصالح الفلسطينية، والإسلامية، والعربية؟ وهل يعني هذا أن المجتمع الأميركي على وشك أو تسيطر عليه الرغبة القوية ليحول مواجهة دولته مع المجتمع الإسلامي إلى حملات صليبية عدائية؟»

وتجيب الكاتبة على هذا التساؤل الذي هو حقًا في مكانه قائلة: «لحسن الحظ، فإن الحالة داخل المجتمع الأميركي ليست سيئة لهذا الحد. فمع أن جمعيات اليمين المسيحي قوية إلا أنها ليست على وشك أن تسيطر على كل المجتمع الأميركي ومن المفيد أن نذكر هنا أن نسبة صغيرة فقط من المسيحيين الأميركيين تدعم برنامج الشرق الأوسط للجمعيات التابعة لليمين المسيحي، غير أن المشكلة تكمن في أن اليمين المسيحي هو في أفضل درجات التنظيم، وله تأثير فعال في العمل السياسي بينما الطوائف والجمعيات المسيحية غير اليمينية ليست بذات التنظيم الكبير، لكن هذا الوضع يجب أن يتغير».

ما تقوله هيلينه كوبان هو عين الصواب. ففي الواقع تمثل الصهيونية المسيحية عدديا نسبة ضئيلة ما بين الكنائس الأميركية، لكنها نسبة فاعلة جدًّا، وتقود جماعات الصهيونية المسيحية جمعيات من المعمدانيين الجنوبيين (Southern Baptists)، هذا ويشكل المعمدانيون بمجملهم مع الكنائس الأخرى ذات التوجه اليميني وليس فقط المعمدانيون الجنوبيون نسبة تبلغ حوالي الستة عشر بالمئة فقط من السكان، أما الطوائف البروتستانتية الأربع الكبيرة غير المعمدانية أي المثوديست واللوثريون والمشيخيون والأنغليكان أو الأسقفيون فإنها تشكل نسبة خمسة عشر بالمئة من عدد السكان، ومن الأهمية بمكان أن هذه الطوائف الأربع

بالإضافة إلى الكاثوليك والطوائف الأرثوذوكسية هي متعاطفة عمومًا مع القضية الفلسطينية، وجميعها حتى كنيسة الميثوديست التي ينتمي اليها شكلًا الرئيس جورج دبليو بوش قد أصدرت بيانات نددت فيها بالحرب على العراق ووصفتها بأنها حرب لا أخلاقية ولا شرعية ومدانة مسيحيًّا.

أدبيات حركة المسيحية الصهيونية

تلتقي الحركتان الصهيونية اليهودية والصهيونية المسيحية حول «مشروع إعادة بناء الهيكل اليهودي في الموقع الذي يقوم عليه المسجد الأقصى اليوم». لذا فالهدف الذي تعمل الحركتان على تحقيقه يتمحور حول فرض سيادة يهودية كاملة على كل فلسطين بدعوة أنها «أرض اليهود الموعودة» ومن شأن ذلك أن يؤدي إلى تعميم البركة الإلهية على كل العالم.

وترجمت معتقدات هذه الحركة بداية في العام ١٩١٧ مع صدور وعد بلفور «الذي أيد فكرة وطن قومي لليهود في فلسطين» وافق أغلب البروتستانت الأمريكيين على هذه الفكرة واعتبروا تنفيذها واجبًا دينيًا راسخًا.

وتأثرت المسيحية الصهيونية بثلاثة توجهات يجمع بينها خلفية التفسير الديني المعتمد على النصوص التوراتية، ورغم تباين هذه التوجهات وتناقضها بعضها مع بعض أحيانا، فإن التفسير الحرفي للتوراة والإيمان بضرورة مساعدة إسرائيل جمع بينهم. والحركات الثلاث هي:

١. حركة تهتم بقضية نهاية العالم ومؤشراته.

٢. حركة تهتم بقضية التقرب من اليهود من أجل المسيح.

٣. حركة تركز على الدفاع عن إسرائيل، وعلى مباركتها ودعمها بكل ما هو ممكن

ومتاح.

وأهم ما يجمع بين المسيحية الصهيونية، واليهودية اليوم يمكن تلخيصه في ثلاث نقاط أساسية:

١. التراث المسيحي اليهودي المشترك.

٢. الأخلاق اليهودية المسيحية.

٣. الالتزام الأدبي والأخلاقي بدعم إسرائيل.

تترجم حركة المسيحية الصهيونية أفكارها إلى سياسات داعمة لإسرائيل، وتطلب ذلك خلق منظمات ومؤسسات تعمل بجد نحو تحقيق هذا الهدف. لذا قامت حركة المسيحية الصهيونية بإنشاء العديد من المؤسسات مثل «اللجنة المسيحية الإسرائيلية للعلاقات العامة» ومؤسسة الائتلاف الوحدوي الوطني من أجل إسرائيل»، ومن أهداف هذه المؤسسات دعم إسرائيل لدى المؤسسات الأمريكية المختلفة، السياسي منها وغير السياسي.

وهناك ما يقرب من ٤٠ مليونًا من أتباع الصهيونية المسيحية داخل الولايات المتحدة وحدها، ويزداد أتباع تلك الحركة خاصة بعدما أصبح لها حضور بارز في كل قطاعات المجتمع الأمريكي.

ويشهد الإعلام الأمريكي حضورًا متزايدًا لهم حيث أن هناك ما يقرب من ١٠٠ محطة تلفزيونية، إضافة إلى أكثر من ١٠٠٠ محطة إذاعية ويعمل في مجال التبشير ما يقرب من ٨٠ ألف قسيس.

وامتد نفوذ الحركة إلى ساسة الولايات المتحدة بصورة كبيرة، وصلت إلى درجة إيمان بعض من شغل البيت الأبيض بمقولات الحركة والاعتراف بهذا علنيًا.

الرئيسان السابقان جيمي كارتر «ديمقراطي» ورونالد ريغان «جمهوري» كانا من أكثر الرؤساء الأمريكيين إيمانًا والتزامًا بمبادئ المسيحية الصهيونية

الكنيسة البروتستانتية وعلاقتها بالمسيحية الصهيونية

لا يمكننا الحديث عن الصهيونية المسيحية دون التطرق للكنيسة البروتستانتية. ويبدو أن الدارس للأولى لا ينفك يجد نفسه يغوص في تاريخ ظهور الثانية. بعض المصادر التاريخية تؤكد على العلاقة العضوية بين الاثنتين رغم إصرار مصادر أخرى على أن الصهيونية المسيحية سبقت التيار البروتستانتي بقرون، وتربطها بحملة تنصير اليهود في الأندلس.

والبروتستانتية إحدى طوائف الدين المسيحي نشأت على يد القس الألماني مارتن لوثر في القرن السادس عشر، أما اصطلاح البروتستانتية، فيعني لغويًّا: الاحتجاج والاعتراض.

لوثر والثورة على الكاثوليكية

ولد القس مارتن لوثر في مدينة إيسليبن بمقاطعة ساكس الألمانية سنة ١٤٨٣ لأب فلاح كانت أمنيته أن يدرس ابنه القانون ويصبح قاضيًّا، لكن مارتن لوثر حصل على الدكتوراه في اللاهوت من جامعة فيتنبرج.

زار لوثر في العام ١٥١٠ روما للتبرك بالمقر الرسولي، وكان يتمنى رؤية القديسين والرهبان الزهاد. غير أنه ما أن حل بروما حتى، فوجئ بمدى الفساد المنتشر داخل الكنيسة الكاثوليكية حتى على أعلى المستويات.

كانت الكنيسة آنذاك تبيع صكوك غفران الذنوب وصكوك التوبة، بل أن بعض الرهبان كانوا يحددون المدة التي سيقضيها الإنسان المخطئ في النار قبل أن يمنحوه

صكوك الغفران التي تعتقه وتسمح له بالمرور إلى الجنة!

وقد أثرت تلك الصور كثيرا في نفسية مارتن لوثر المتحمس، فأحس بالغبن وقرر إصلاح الكنيسة وتقويض سلطة البابا.

قام مارتن لوثر بتعليق احتجاج صارخ على باب كنيسة مدينة فيتنبرج في ٣١ أكتوبر/ تشرين الأول ١٥١٧ تضمن ٩٥ نقطة طالب فيه بإلغاء النظام البابوي لأنه يمنح قدسية كبيرة للبشر قد يسيؤون استعمالها تمامًا كما كان شائعًا في الكنيسة الكاثوليكية آنذاك.

كما رفض لوثر أن يبقى القسيس بلا زواج مدى الحياة، فأقدم على الزواج من الراهبة كاترينا فون بورا وأنجب منها ستة أطفال.

وكانت من بين مطالب لوثر أيضًا المساواة بين الإكليروس «رجال اللاهوت المسيحي» والمسيحيين العاديين. غير أن ما سيؤثر على مستقبل الكنيسة الكاثوليكية بشكل عام كان دعوة مارتن لوثر إلى جعل الكتاب المقدس المصدر الوحيد للإيمان تأثرًا بنظرية القديس بطرس التي تقول ما معناه أن الإنسان الذي لوثته الخطيئة لا يمكن أن يطهره من تلك الخطيئة سوى الإيمان الذي يتجلى في رحمة الرب وإرادته.

ودعا لوثر إلى إلغاء الوساطة بين المؤمنين والرب بمعنى إقامة علاقة مباشرة بين العبد والمعبود دون المرور عبر البابا، أو أي شخص آخر.

وكان أخطر ما حملته مطالب لوثر دعوته للعودة إلى كتاب التوراة العبرانية القديمة، وإعادة قراءته بطريقة جديدة بالإضافة إلى اعتماد الطقوس العبرية في الصلاة عوضًا عن الطقوس الكاثوليكية المعقدة.

***

بداية تهويد المسيحية

أرسل مارتن لوثر رسالة إلى البابا ليو العاشر في روما سنة ١٥٢٠ اتهمه فيها باستعمال الكنيسة الكاثوليكية لتحقيق مصالح شخصية له وللحاشية التي تحيط به، مؤكدا أنه لن يتخلى عن نضاله لتقويض تلك الكنيسة مادام حيًّا.

فجاء رد فعل الكنيسة الكاثوليكية قاسيًّا حيث اعتبرت لوثر من الخارجين عن الكنيسة وطردته من الديانة المسيحية واتهمته بالهرطقة، وهي تهمة كانت عقوبتها آنذاك الحرق على الملأ.

لجأ لوثر بعد ذلك إلى العمل السري وعمل على استمالة بعض اليهود الذين كان لهم نفوذ كبير في المجتمع عن طريق التأكيد على أن مذهبه الجديد يعيد الاعتبار لليهود الذين كانوا يعانون من ازدراء الكنيسة الكاثوليكية.

أصدر لوثر كتابه «عيسى ولد يهوديًّا» سنة ١٥٢٣ وقال فيه أن اليهود هم أبناء الله ، وإن المسيحيين هم الغرباء الذين عليهم أن يرضوا بأن يكونوا كالكلاب التي تأكل ما يسقط من فتات من مائدة الأسياد.

ويرى الكثير من الكتاب والمؤرخين أن هذه الفترة تعد الولادة الحقيقية والفعلية للمسيحية اليهودية.

وتقوم المسيحية اليهودية على تفضيل الطقوس العبرية في العبادة على الطقوس الكاثوليكية بالإضافة إلى دراسة اللغة العبرية على أساس أنها كلام الله.

ووصلت محاولة استمالة لوثر لليهود من أجل الدخول في مذهبه حدًا قال فيه يوما أمام عدد من اليهود الذين كانوا يناقشونه: «إن البابوات والقسيسين، وعلماء الدين -ذوي القلوب الفظة- تعاملوا مع اليهود بطريقة جعلت كل من يأمل أن

يكون مسيحيًّا مخلصًا يتحول إلى يهودي متطرف وأنا لو كنت يهوديًّا ورأيت كل هؤلاء الحمقى يقودون ويعلمون المسيحية فسأختار على البديهة أن أكون خنزيرًا بدلا من أن أكون مسيحيا». وتشير الكثير من المصادر التاريخية إلى أن رغبة مارتن لوثر الجامحة في إعادة الاعتبار لليهود و«تمسيحهم» كانت تعود لإيمانه العميق بضرورة وجودهم في هذا العالم تمهيدا لعودة المسيح.

واعتبرت دعواته تلك انقلابًا على موقف الكنيسة الكاثوليكية التي كانت تنظر لليهود على أنهم حملة لدم المسيح عيسى بعدما صلبوه.

حيث دأبت الكنيسة الكاثوليكية على تحميل اليهود المسؤولية الكاملة عن مقتل المسيح. وكان بعض المسيحيين في أوروبا يحتفلون بمقتل المسيح عن طريق إحياء طقوس عملية الصلب، بل وكان سكان مدينة تولوز الفرنسية يحرصون على إحضار يهودي إلى الكنيسة أثناء الاحتفال ليتم صفعه من قبل أحد النبلاء بشكل علني إحياء لطقس الضرب الذي تعرض له المسيح من قبل اليهود.

كما أن هناك نصًا في إنجيل متى يحمل اليهود مسؤولية مباشرة عن مقتل المسيح ويذكر بالتفصيل كيف غسل بيلاطس الحاكم الروماني للقدس آنذاك يديه بالماء معلنًا براءته من دم المسيح الذي كان اليهود على وشك صلبه قبل أن يصيح فيه اليهود قائلين: «ليكن دمه علينا وعلى أولادنا»؟.

وهذه العبارة الأخيرة تطبع الاعتقاد المسيحي الكاثوليكي بشكل مرير ظهر جليًّا في الشعبية الكبيرة التي نالها فيلم «آلام المسيح» للمخرج المسيحي ميل غبسون الذي حصد مئات الملايين من الدولارات عدا حالات الإغماء الكثيرة التي شهدتها قاعات السينما التي عرضت الفيلم في الولايات المتحدة لرجال، ونساء مسيحيين لم يستطيعوا تحمل التفاصيل المليئة بالألم التي حفل بها الفيلم.

علاقة الكنيسة البروتستانتية بالصهيونية المسيحية

المسيحية هي ديانة سماوية ورسالة حملها المسيح، وتعد أكثر الأديان انتشارًا في العالم، حيث يفوق عدد معتنقيها ملياري نسمة. وجذور المسيحية هي الديانة اليهودية التي تتشارك وإياها الإيمان بالتوراة.

والصهيونية اختصارًا هي أيديولوجية تؤيد قيام دولة قومية يهودية في فلسطين بوصفها أرض الميعاد لليهود. وصهيون هو اسم جبل في القدس وتقول بعض المصادر: إنه اسم من أسماء القدس.

أما الصهيونية المسيحية: فهي الدعم المسيحي للفكرة الصهيونية، وهي حركة مسيحية قومية تقول عن نفسها: إنها تعمل من أجل عودة الشعب اليهودي إلى فلسطين وسيادة اليهود على الأرض المقدسة. ويعتبر الصهيونيون المسيحيون أنفسهم مدافعين عن الشعب اليهودي خاصة دولة إسرائيل، ويتضمن هذا الدعم معارضة وفضح كل من ينتقد أو يعادي الدولة العبرية.

تقوم فلسفة الصهيونية المسيحية على نظرية الهلاك الحتمي لليهود. وهناك الكثير من الدراسات اللاهوتية في هذا المجال خلاصتها أن هلاك يهود الأرض قدر محتوم وضرورة للخلاص من «إرث الدم» الذي حمله اليهود على أكتافهم بعدما صلبوا المسيح وهم سيتحولون إلى المسيحية بعد عودته، ولن يبقى شيء اسمه اليهودية.

ومارتن لوثر الذي تحدثنا عنه أعلاه عمل على تهويد المسيحية عندما أصر على اعتماد التوراة العبرانية بدلاً عن كتاب «العهد الجديد». وقد قام عدد من رجال الدين البروتستانت مثل القس الإنجليزي جون نلسون داربي بإعادة قراءة العقائد المسيحية المتعلقة باليهود، ومنحهم مكانة متميزة حتى أصبحت الكنيسة البروتستانتية هي حاملة لواء الصهيونية المسيحية أينما حلت.

وقد حصل انشقاق داخل الكنيسة البروتستانتية نفسها بسبب اليهود. فبينما أعرب بعض البروتستانت الإنجليز عن اعتقادهم بأن اليهود سيعتنقون المسيحية قبل أن تقوم دولتهم في فلسطين، ذهب بعض البروتستانت الأمريكيين إلى أن اليهود لن يدخلوا في المسيحية حتى لو قامت إسرائيل وأن عودة المسيح هي الشرط النهائي لخلاصهم، وتوبتهم ودخولهم في الدين الذي جاء فيهم أصلًا.

وقد تزعم القس نلسون داربي هذا الفريق وينظر إليه على أنه الأب الروحي للمسيحية الصهيونية قبل أن يعمل العشرات من القساوسة على نشر نظريته تلك. ونشر وليم باكستون الذي كان من أشد المتحمسين الأمريكيين لأطروحة داربي كتاب «المسيح آت» سنة ١٨٨٧ وترجم الكتاب إلى عشرات اللغات وركز فيه على حق اليهود التوراتي في فلسطين. وبلاكستون كان وراء جمع ٤١٣ توقيعًا من شخصيات مرموقة مسيحية ويهودية طالبت بمنح فلسطين لليهود وتم تسليم عريضة التوقيعات للرئيس الأمريكي آنذاك بنيامين هاريسون.

أما القس سايروس سكوفيلد فيعتبر من أشد المسيحيين الصهيونيين تشددا وقام بوضع إنجيل سماه «إنجيل سكوفيلد المرجعي» نشره سنة ١٩١٧ وينظر إليه اليوم على أنه الحجر الأساس في فكر المسيحية الأصولية المعاصرة.

كتاب «اليهود وأكاذيبهم»

تتباين المراجع التاريخية في تقييم ما قام به مارتن لوثر، فهناك من ينظر إليه على أنه ثائر إصلاحي خلص الكنيسة الكاثوليكية من الكثير من الأساطير اللاهوتية التي أفسدتها، وهناك من يرى أنه أفسد العقيدة المسيحية بمنحه اليهود مكانة رفيعة جعلتهم يستعملون المذهب البروتستانتي لتحقيق أهدافهم الخاصة، غير أن الكثير من المصادر تتجاهل حقيقة عودة مارتن لوثر عن الكثير من مواقفه وآرائه خاصة

تلك المتعلقة منها باليهود.

وقد كتب مارتن لوثر في آخر أيامه كتاب «اليهود وأكاذيبهم» أعرب فيه عن خيبة أمله من اليهود وأقر بالفشل في استقطابهم لعقيدته الجديدة. كما أقر في شبه استسلام تلقفه اليهود قبل غيرهم بأن دخول اليهود في الدين المسيحي لن يتم إلا عبر عودتهم لأرض فلسطين وعودة المسيح الذي سيسجدون له ويعلنون دخولهم في الدين المسيحي حتى يعم السلام العالم.

بماذا تؤمن المسيحية الصهيونية..

تشير كلمة صهيون في العهد القديم بشكل عام إلى القدس. فهي تظهر بشكل عام وواسع في نصوص العهد القديم فظهرت « ١٥٤ » مرة في العهد القديم، وبشكل خاصة في أشعياء فظهرت « ٤٧ » مرة، وفي المزامير « ٣٧ » مرة . أما في العهد الجديد فتظهر فقط « ٧ » مرات.(اليسوعي،١٠١).

التدبيرية وعودة اليهود:

لقد تطورت عقيدة التدبيرية في القرن التاسع عشر، والثورة التي حدثت بشأن الأفكار النبوية المستقبلية المتعلقة باختطاف الكنيسة، وإسرائيل يمكن أن ننسبها بشكل كبير إلى إدوارد ارفينك، وجون نيلسون داربي، وقد عقدت مؤتمرات في إنكلترا وايرلندا ما بين عام ١٨٢٦ و١٨٣٣، وكانت تدعم هذه الأفكار. وفي عام ١٨٢٦ فتح هنري درازمونت «وهو مصرفي وسياسي ورئيس شرطة في إنكلترا» بيته في حديقة البري، ورحب بمجموعة مختارة من حوالي عشرون ضيفًا كانوا مدعوين لمناقشة القضايا المرتبطة بتحقيق الفوري للنبوات.

وتضمنت المواضيع تحقيق نبوات للكتاب المقدس الملك قبل الألفي، وعودة

اليهود الوشيكة إلى فلسطين، والبحث عن عشائر إسرائيل المفقودة.

اليهود لا يزالون يدعون بأنهم شعب الله المختار:

تركز الصهيونية المسيحية في نظرتها الكتابية إلى العالم . فمن ابرز صفاتها أنها تحاول قراءة الأحداث المعاصرة في سياق الكتاب المقدس.

والسؤال الرئيسي الذي تطرحه المسيحية الصهيونية هو ذلك المتعلق بالأواخر متى يعود المسيح؟ فالمسيحيون الصهاينة يدعمون فكرة أننا على حافة نهاية الزمان وأن عودة المسيح أوشكت وتشير أحداث العالم اليوم إلى سيناريو نهاية هذا الزمان، في قلب نهاية الزمان هذا تركز الصهيونية المسيحية على الشعب اليهودي ودولة إسرائيل، تقول المسيحية الصهيونية أن الوعود المقدمة إلى الكنيسة في نهاية الزمان والمتعلقة بالاعتراف الشامل بالمسيح كإله ومخلص يجب أن يسبقه الالتزام بوعود العهد القديم لإسرائيل، وتتضمن هذه الوعود عودة اليهود لوطنهم وتأسيس دولة يهودية وبناء الهيكل الثالث.

بالاعتماد على نظرتهم الكتابية عملوا على بناء مفهوم لاهوتي وسياسي يتضمن العناصر التالية : « أن القراءة الأصولية لتاريخ وتنبؤات العهد القديم تركز على مواضيع الاختيار والشعب والأرض، كان التدبير الإلهي دائما هو تحقيق الخلاص عن طريق إسرائيل، وتأسست الكنيسة فقط بسبب رفض إسرائيل للمسيح، وقد جاءت هذه الرؤية من قراءة ما ورد في الرسالة إلى أهل رومية فصل ٩ -١١، حسب المسيحية الصهيونية انتهى عهد الوثنين أي كنيسة الأمم وفق نبوءة المسيح في لوقا ٢١ - ٢٤ فأحداث ١٩٤٨ ، وأحداث ١٩٦٧ يبدو أنه يشير إلى نهاية الزمان» (مجلة اللقاء، ١١٢).

الحكم الألفي:

يوجد هناك ثلاثة مواقف مختلفة جوهريًا فيما يتعلق بالألفية، فهناك القبل ألفية، التي تستمد اسمها من الاعتقاد بأن يسوع المسيح سيعود في شخصه إلى الأرض قبل تأسيس مملكته، التي سيحكم فيها لمدة ألف سنة، في الوقت الذي يتم فيه إعلان الإنجيل للخليقة بأسرها.

أما المؤمنون بما بعد الحكم الألفي فيعتقدون بما يلي : أن يسوع سيعود ثانية لتأسيس مملكته بعد أن يتم التبشير بالإنجيل للخليقة كلها، وقد بقيت وجهة النظر هذه لمعظم الإنجيلين الغربيين منذ عهد الإصلاح، وهناك مؤمنو اللا ألفية، اللذين يقولون أن فكرة اللا ألفية فكرة رمزية .

المسيح الدجال:

تعتقد جماعة عقيدة ما قبل الحكم الألفي بان التاريخ سيأخذ بالانحلال تدريجيًّا، إلى أن تتم سيطرة المسيح الدجال على العالم. وهذه الفكرة مأخوذة من سفر دانيال الإصحاح التاسع، حيث تشير إلى ظهور الشيطان من جديد، ومحاولته السيطرة على العالم، من خلال حكومة عالمية واحدة. وقد ظن البعض أنها يمكن أن تكون الولايات المتحدة الأمريكية. ولقد حاول اللاهوتيين على مدى التاريخ أن ينسبوا هوية المسيح الدجال إلى أشخاص من بينها البابا، ولينين وهتلر والخوميني، وبموجب تفسير المؤمنين بما قبل الألفية، تفسر رؤيا يوحنا إصحاح ١٦:١٦ فسيتم القضاء على المسيح الدجال في معركة هارمجدون.

الضيقة العظيمة ونهاية العالم:

مع استمرار انحلال الحياة على الأرض، سيكون هناك فترة ضيق يقودها المسيح

الدجال ضد كل الـذين لا يخضعون لسلطانه، أما بالنسبة لتوقيت هـذه الضيقة، فهناك جماعات تؤمن بـان اختطاف الكنيسة من العالم سيحدث، أما قبل هـذه الضيقة، أو أثناءها، أو في الفترة التي تليها مباشرة. وقد بنا المؤمنون بها قبل الحكم الألفي إلى كل من الإصحاحين السابع، والتاسع من سفر دانيال، الإصحاح الرابع، والخامس من رسالة بولس الرسول إلى أهل تسالونيكي، والإصحاح السادس والعشرين من سفر رؤيا يوحنا كمصادر كتابية لهذه النظرية .



الأسرار السبعة المقدسة

في المسيحية، يُقصد بالأسرار المقدسة هو: «نوال نعمة سرية (غير منظورة) بواسطة مادة منظورة» وذلك بفعل روح الله القدوس الذي حل بمواهبه في يوم الخمسين على تلاميذ ورسل المسيح، وبحسب ما أسسه السيد المسيح نفسه وسلَّمه للرسل وهم بدورهم سلَّموه للكهنة بوضع اليد الرسولية.

المادة المنظورة في الأسرار المقدسة

ماهية الاسرار

تعتبر المادة المنظورة - التي من خلالها ننال النعمة السرية غير المنظورة هامة جدًّا ولها شروط معينة تجعلها مطابقة ماديًّا للفعل غير المنظور للنعمة السرية:

فيُستخدم الماء كمادة منظورة للمعمودية (أ/ع٢٢:١٦).

ويُستخدم زيت الميرون الذي يحتوي على أنواع أطياب مختلفة إشارة إلى مواهب الروح القدس المتنوعة، وقد استخدمه الرسل كمسحة مقدسة (١/ يو٢:٢٠، ٢٧).

يستخدم القربان المقدس المصنوع من دقيق الحنطة ليتحول إلى غذاء سمائي، وخبز سمائي هو جسد الرب (يو٦:٥١).

وعصير العنب (١كو١١:٢٤؛ إش٦٢:٣).

وفي سر التوبة يكون وضع الصليب على الرأس هو المادة المنظورة لغفران الخطايا (يو٢٠:٢٣).

وفي سر مسحة المرضى يستخدم القنديل (زيت وفتيل) (لو١٠:٢٤؛ مر٦:١٣؛ يع٥:١٤).

وفي سر الزيجة يكون الإكليل المقدس على رأس العريس والعروس إشارة إلى إكليل العفة والتقديس (نش٣:١١).

وفي سر الكهنوت تكون المادة المنظوره هي اليد الأسقفية، أو الكهنوت لمنح الموهبة والسر (أع٦:٦؛ غل٢:٩؛ ١تي٤:١٤؛ ٢تي١:٦؛ عب٦:٢؛ تث٣٤:٩).

وبالهنا والشفى ولقد رتَّب الرب أن تُمْنَح النِعَم غير المنظورة بواسطة مادة منظورة لأن الإنسان يحتاج إلى أن يشعر بشيء مادي واقعي؛ لأنه في الجسد كقول القديس يوحنا ذهبي الفم: لو أن نفسك عارية من الجسد لكانت عطايا الله توهَب لك على هذه الصورة، ولذلك استخدم السيد له المجد الطين لفتح أعين الأعمى (يو٩:٦)، وخرجت منه قوة من خلال أهداب ثوبه لشفاء نازِفة الدم، ووضع أصابعه في أذن الأصم ليسمع (مر٧:٣٣)، وكان يشفي ويبارك بوضع يديه (مر٥:٢٣؛ ٦:٥؛ ٨:٢٣؛ ١٠:١٦).

ترتيب الأسرار

سر المعمودية – سر الميرون – سر الإفخارستيا – سر التوبة والاعتراف – سر مسحة المرضى – سر الزواج – سر الكهنوت.

السبب في ترتيب الأسرار هكذا هو أن المعمودية هي باب الأسرار وبدونها لا يمكن نوال استحقاقات الفداء، فهي سر الولادة من فوق، والكهنوت وُضِع في

آخر الأسرار؛ لأنه تاج الأسرار ومتممها فبدونه لا يتم أي سر منها، والميرون بعد المعموديه لأن آبائنا الرسل كانوا يضعون الأيادي مباشرة بعد العماد (ولأن الذي غُرِسَ في جسد المسيح بالمعمودية يحتاج إلى مواهب الميرون للتثبيت في الطبيعة الجديدة)، ثم بعد ذلك لابد أن الذي قام من الموت مع المسيح بالمعمودية (يو٦:٤) وبها وُلِدَ من فوق (يو٣:٣، ٥) وأُعْطِيَ مواهب الحياة الجديدة (بالميرون) لابد له أن يعطى ليأكل ويتغذّى من فوق (مر٥:٤٣) من خبز الحياة الذي هو جسد السيد المسيح ودمه الأقدسين (يه٦) ووضع سر التوبة والاعتراف بعد التناول حتى يسارع من قد تطهَّر بالمعمودية وتغذّى بالتناول إلى مداومة الحفاظ على النعمة التي أخذها لتحيا نفسه طاهرة، ولأن شفاء النفس يؤدي إلى شفاء الجسد «اعترفوا.. لكي تُشفوا» (يع٥:١٦).

لذا وضع سر التوبة سابقًا لسر مسحة المرضى، ثم بعد ذلك الزيجة لولادة أعضاء الكنيسة بالجسد، ثم الكهنوت لولادة الأعضاء الروحيين ولإقامة الأسرار وانتشار الكنيسة، فالأسرار تبدأ بسر الولادة وتنتهي بواسطة الولادة.

الأسرار التي يمكن تكرارها والتي لا يمكن تكرارها

إن أسرار المعمودية والميرون والكهنوت (بكل رتبه الثلاث) تترك أثرًا أو سمة لا تُمحى في النفس الإنسانية القابلة لها، لذلك فهي لا تُعاد..

ويمكن تكرار سر مسحة المرضي كلمة اقتضى الأمر ذلك.

أما سري التناول والاعتراف فيجب تكرارهما بصفة مستمرة ومنتظمة قدر الإمكان للحفاظ على نقاوة الإنسان بالاعتراف وحفظه من السقوط والخطيئة بالتناول المتواصل وباستحقاق السر المقدس، كذا سر الزيجة فلا يُعاد، فلو كان أحد الخطيبين المتقدمين للزواج قد سبق زواجه قبل ذلك (أي: أرمل) فالكنيسة تزوجها

بدون إكليل، ولكن كسماح (تحليل وليس اكليل).

معنى كلمة سر في الكتاب المقدس

وردت بمعنى «أمر خفي» (١صم٢٢:١٤؛ ٢صم٢٣:٢٣؛ مت١:١٩؛ يو١١:٢٨؛ أع١٦:٣٧).

وردت بمعنى «التدبير الإلهي» (الفوقاني) (رو١٦:٢٥-٢٦؛ أف١:٧، ٩، ١٠؛ أف٣:٩؛ ١تي٣:١٦).

وردت بمعنى «رمز نبوي» (دا٢:١٩-٢٢؛ ٢:٤٧؛ رؤ١:١٢، ٢٠؛ ١٧:٥).

وردت بمعنى «أسرار الملكوت» (مت١٣:١١؛ مر٤:١١؛ لو٨:١٠).

كما وردت بمعنى «أسرار النبوات»، و«أسرار الروح»، و«سر الرب»، و«سر الإنجيل»، و«سر الإيمان»، (عا٣:٧؛ ١كو١٤:٢؛ مز٢٥:١٤؛ أم٣:٣٢؛ أف٦:١٩؛ ١تي٣:٩).

و يبقى تطبيق الأسرار رهنًا بالطائفة المسيحية. إذ أن البروتستانت لا يؤمنون إلا بسري المعمودية وعشاء الرب.

سر الدم عند اليهود...

من أخطر الكتب التى تخفيها الصهيونية العالمية ، كتاب ألفه الحاخام تاوفيطيوس الذى اعتنق المسيحية بعد اطلاعه على فظائع التلمود وعرف خفايا البروتوكولات الصهيونة السرية التى تبيح للصهيونى سفك الدماء .

وقد ولد تاوفيطيوس فى سنة ١٧٦٤ م من أبوين صهيونيين ونبغ فى العلم منذ طفولته فدرس اللغة العبرية وقرأ التوراة والتلمود وعين حاخاما وحين بلغ الثانية

والثلاثين اعتنق المسيحية هربًا من التعاليم الصهيونية ولم يكن فى اعتناقه المسيحية طالبا لمنفعة دنيوية حتى يطعن فيه بل انه سارع إلى أحد الأديرة فى رومانيا وترهب وعاش هناك، وأمضى حياته ناسكًا متعبدًا .وكان كتابه (سر الدم المكتوم) الذى وصف فيه طرائق استنزاف دماء المسيحيين أخطر كتاب ظهر عن قضية الصهيونية طوال الأجيال وترجم هذا الكتاب إلى لغات متعددة منها اليونانية وعربية وإيطالية وكانت كلما ظهرت طبعه منه اختفت بمجرد ظهورها لأن الصهيونيين فى كل بلد كانوا يخفونه فورا وحينما طبع فى مصر سنة ١٨٩٠م اختفت جميع النسخ يوم صدورها.

وليس هذا الكتاب الخطير إلا التفسير الواقعى لقصة الذبائح الصهيونية التى اقترفها الصهيونيون فى أقطار متعددة فكانوا يستنزفون دماء المسيحيين بسبب عقيدة راسخة عندهم تدعو إلى استنزاف هذا الدم فى عيد الفصح لصنع الفطيرة المقدسة والذى لا شك فيه أن عقائد الصهيونيين ترتبط ارتباطا كاملا بهذا التلمود الذى يزعمون انه كتابهم المقدس.

ويقول التلمود (اقتل الصالح من غير الإسرائيلين ومحرم كذلك على الصهيونى أن ينقذ أحدًا من باقى الأمم من الهلاك أو يخرجه من حفرة يقع فيها) كما يقول أيضًا : (من العدل أن يقتل الصهيونى بيده كل كافر لان من يسفك دم الكافر يقدم قربانا لله).

وقد أصبح معروفا أن العقائد التلموديه تؤكد سفك دماء غير اليهود وأن من يقتل مسيحيا أو أجنبيًّا أو وثنيا يكافأ (بالخلود فى الجنة والإقامة فى القصر الرابع (وقد شرح تاوفيطيوس الحاخام الذى اعتنق المسيحية حقيقة هذه المعتقدات البشعة فى كتابه الذى أطلق على اسم (سر الدم المكتوم عند الصهيونيين) وقال: أن الأسباب التى

تدعو هؤلاء الصهيونيين المعتقدين بكتاب التلمود إلى سفك دماء غير الصهيونيين هي:

١- البغض الشديد ضد المسيحيين خاصة واعتبار دمائهم ضحيه وقربانًا.

٢- اعتقاد الصهيونيين أن الدم المسيحي له فعل سحري في أمور يعلمها الحاخامات.

ويستعمل الدم المستنزف من عروق المسيحيين في كثير من الطقوس الدينية ومنها الزواج وذلك بأن يصوم العروسان من المساء عن كل شيء وبعد عقد الزواج يناولهما الحاخام بيضه مسلوقه يغمسها برماد الكتان المشرب بالدم المسيحي... وهذا الرماد محفوظ عند الحاخامات وهو الذي يحفظون فيه الدم وعندما يأكل العروسان البيضة الملوثة بالدم المسيحي يتلو عليهما الحاخام بعض كلمات توضح الحقد وتدعو إلى إيقاع المسيحيين في فخاخ الغش والخداع.

ويستعمل الدم المستنزف في أشياء كثيرة منها أنهم عند ختان أطفالهم في اليوم الثامن من ولادتهم يأخذ الحاخام كأس خمر ممزوجة بنقطه من الدم المسيحي ويضيف إليها من دم الطفل المختون ويمزج الخمر مزجًا قويًا ثم يغمس خنصره في الكأس ويدخله في فم الطفل مرتين ويقول للطفل: (إن حياتك هي بدمك).

ومن الطقوس الصهيونيه أنهم في اليوم التاسع من تموز(يوليو) يقيمون مناحاتهم على خراب أورشليم وكل صهيوني ملزم طبقا لتعليمات التلمود بدهن جبهته من جهة الصدغين برماد الكتان الملوث بالدم المسيحي وفي عيد الفصح يصنعون الفطير على صور شتى تمثل الشيطان ويعجنونه بالدم كما يصنعون رغيفًا خصوصًا يعجن برماد الكتان الذي ذكرناه ولابد لكل صهيوني من أكل قطعة منه بقدر حبة الزيتون وحينما يقترب الصهيوني من منيته يأتي الحاخام وبيده بيضة يستخرج زلالها

ويمزجها بنقطة من الدم المسيحى أو بقيل من رماد الكتان الملوث وينضحه على قلب الميت.

والصهيونيون لا يقومون باستنزاف دم المسيحيين وحدهم ولكنهم يستنزفون أيضا دم المسلمين إذا عز عليهم الحصول على دم المسيحى ، ويعتقدون أن عددا كبيرا من المسيحيين دخلوا فى الإسلام، ولذلك دم المسلم ممزوج بالدم المسيحى ولذلك فانه حلال عندهم.

ويوضح الحاخام الصهيونى الذى اعتنق المسيحية فى كتابه الخطير أن استعمال الدم على نوعين أولهما أن يكون صرفا وأما ثانيهما رماده أى رماد الكتان المشرب بالدم وهذا النوع الأخير يوضع فى علب صغيرة ويرسل من بلد إلى بلد.

ومن الواضح أن هذه العقائد الرهيبة التى اتخذها الصهيونيون حينما اعتنقوا التلمود وهو كتاب حاخاماتهم ليس له علاقة نهائيا بالديانة اليهودية نفسها بل يرتبط بالصهيونية فى مفهومها الذى يعتبر إجراميا يبتعد عن حقيقة الإيمان بالله. وليس أدل على ذلك من أن التلمود ذكر فى بعض فصوله أن الله سبحانه وتعالى يبكى وتجرى دموعه فى البحر كلما تذكر شقاء الشعب صهيون وانه يدرس فى كل يوم كتاب التلمود ثلاث ساعات.

وهذه الأقوال وهى كثيرة فى التلمود تدل دلاله واضحة على أن هؤلاء الصهيونيين قد كفروا بالذات الإلهية حتى أنهم يزعمون أن الله سبحانه وتعالى يستشير الحاخامات حينما يريد أن يبرم أمرا ولذلك فان العقيدة التلمودية فى سفك الدم المسيحى والمسلم تمثل الانحراف البشع الذى تردت فيه الصهيونية العالمية واتخذت القتل وسفك الدماء وسيله من وسائلها حتى أصبحت العقيدة الصهيونية من أخطر العقائد السرية التى تهدف إلى السيطرة عن طريق القتل واستنزاف الدماء

والذبائح البشرية.

وقد اضطر الرومان إلى إصدار قانون فى سنة ٦٥٨ م بمنع الذبائح الصهيونية ومعاقبة من يرتكبها بالقتل إلا أن الحاخامات أعادوها سرا وحينما فتح الملك اليونانى ايفان مدينة أورشليم سنة ١٧٤ ق م، ودخل المدينه المقدسة وجد فى الهيكل رجلا يونانيا كان الصهيونيون قد سجنوه فيه وقدموا له أفخر الأطعمة حتى يأتى اليوم الذى يخرجون به ليذبحوه عملا بشريعتهم . وأنقذ الملك اليونانى هذا الرجل السجين ..واستمرت الذبائح الصهيونية حتى الآن.

ومن اشهر المذابح المسجله فى محاضر رسميه مايلى :

١- مذبحة بورسعيد سنة ١٨٨١.

٢- مذبحة الأستانه سنة١٨٨٣.

٣- مذبحة بلواس سنة ١٠٧١.

٤- مذبحة نورفيش سنة ١١٤٤.

٥- مذبحة باريس سنة ١١٧٩.

٦- مذبحة قصر بريسن سنة ١١٨١.

٧- مذبحة لندن سنة ١١٨١.

٨- مذبحة دورلينجين سنة ١١٩٨.

٩- مذبحة فيسمبورج سنة ١٢٢٠.

١٠- مذبحة مونيخ سنة ١٢٢٥.



تحالف اليمين المسيحي واللوبي الإسرائيلي

كان الحصول على دعم البروتستانت الأصوليين مهما بالنسبة للحزب الجمهوري، ثم أضيف إلى ذلك قنعة مفادها أن الحزب بحاجة إلى دعم الطبقات المتوسطة أيضًا وليس فقط شريحة متدينة بعينها.

وكان هناك إدراك بأن السياسات الاقتصادية للجمهوريين تضر نفس الطبقات التي يسعى الحزب إلى كسب تأييدها، حيث أن الحزب متمسك بمبادئ الاقتصاد الحر ما يقلص من البرامج الحكومية التي تدعم لطبقات المتوسطة والمنخفضة الدخل.

فما المبرر الذي سيقنعهم بتأييد الحزب الجمهوري رغم سياساته الضارة؟ ووجد الجمهوريون الإجابة فيما يسمى «المبادئ المسيحية»، أو «المبادئ الأسرية» Family Values. وهكذا بدأ التيار اليميني يدعي أنه المحافظ الرئيس على الأخلاقيات المسيحية الأصيلة التي فقدت في المجتمع نتيجة صعود التيارات الليبرالية، وهكذا تحول الحزب الجمهوري من حزب الأثرياء إلى حزب الأخلاق المسيحية.

ولا ينسب بداية التحالف بين لصهيونية المسيحية والصهيونية اليهودية ليوم محدد، فهذا التحالف ناتج عن تطورات متصلة منذ زمن بعيد، فالإيمان بحتمية ظهور دولة يهودية في فلسطين كجزء من النبوءة التوراتية لعودة المسيح أمر يعود للقرن السادس، ولكن باستطاعتنا أن نتابع نمو هذا التحالف بالولايات المتحدة خلال القرن الماضي.

من الجدير بالذكر أن أول جهد أمريكي للدعوة لإنشاء دولة يهودية لا ينسب إلى المنظمات اليهودية، بل للمبشر المسيحي الأصولي وليام بلاكستون.

وقد شن بلاكستون عام ١٨٩١ حملة سياسية للضغط على الرئيس بنيامين هاريسون من أجل دعم إنشاء دولة يهودية بفلسطين. ورغم أنها لم تسفر عن شيء، تعتبر حملة بلاكستون الظهور الأول للصهيونية المسيحية في السياسية الأمريكية.

ورغم أن الصهيونية المسيحية لم تختف تمامًا في العهود التالية، فإن عودتها الحقيقية إلى الساحة السياسية كانت عام ١٩٤٨ عند الإعلان عن تأسيس إسرائيل، وزادت قوة بعد الاستيلاء الإسرائيلي على الضفة الغربية وقطاع غزة وشرقي القدس ومرتفعات الجولان السورية وصحراء سيناء المصرية عام ١٩٦٧، حيث أن المجتمع البروتستانتي الأصولي نظر لهذا الحدث كتحقق لـ«النبوءة التوراتية» بانبثاق دولة يهودية بفلسطين.

وفي هذا الإطار كتب مفكر مسيحي صهيوني مباشرة بعد الحرب في دورية «المسيحية اليوم» Christianity Today «للمرة الأولى منذ أكثر من ٢٠٠٠ سنة القدس الآن في أيدي اليهود ما يعطي دارسي الكتاب المقدس إيمانًا متجددًا في دقته وصحة مضمونه».

تصهين اليمين المسيحي الأمريكي

في حقبة السبعينيات والثمانينيات تحولت ظاهرة تصهين اليمين الأمريكي، وتحالفه مع الصهيونية اليهودية إلى عنصر دائم في الواقع السياسي. وقبل عرض تفاصيل هذا التحالف يجوز ذكر النقاط التالية:

• لا يقتصر التحالف المسيحي الصهيوني على المسرح الأمريكي، فعلاقة الحكومة الإسرائيلية بالمنظمات المسيحية الصهيونية تمثل بعدًا هامًا للحلف. ويقال أن دور

المنظمات المسيحية المتصهينة في جلب الدعم الأمريكي لإسرائيل يرتفع عادة في أوقات حكم حزب الليكود.

• تحالف الصهيونية المسيحية مع الصهيونية اليهودية بالولايات المتحدة ليس تحالفا شاملاً، فبعض عناصر اللوبي الإسرائيلي غير مرحبين بمشاركة الجانب المسيحي الصهيوني في دعم إسرائيل.

• بعكس الاعتقاد السائد، التيار المسيحي الصهيوني يمثل قوة سياسية مستقلة عن اللوبي الإسرائيلي من حيث الفكر الأيديولوجي، والهوية، ودوافع تقديم العون لإسرائيل.

وازدادت صلابة هذا التحالف قوة في نهاية السبعينيات وبداية الثمانينيات عندما بدأت شخصيات بارزة من تيار اليمين المسيحي تقر علنا بأن دعم إسرائيل فرض ديني لكل مسيحي، فقد قال جيري فالويل مؤسس «حركة الأغلبية الأخلاقية» Moral Majority Movement أن «الوقوف ضد إسرائيل هو كالوقوف ضد الرب، نحن نؤمن بأن الكتاب المقدس، والتاريخ يثبتان أن الرب يجازي كل أمة بناء على كيفية تعاملها مع إسرائيل».

وقد قدم رئيس الوزراء الإسرائيلي السابق مناحم بيغن جائزة جابوتنسكي Jabotinsky لفالويل عام ١٩٨١ تقديرًا لدعمه لإسرائيل.

كما شهد عام ١٩٨٠ تأسيس منظمة السفارة المسيحية العالمية بالقدس بهدف تقوية الدعم المسيحي العالمي لإسرائيل. وكانت القدس شهدت عام ١٩٧٦ تأسيس منظمة جسور للسلام أو Bridges for Peace التي تصف مهمتها في تحقيق السلام على النحو التالي «نعطي من خلال برامجنا فرصة للمسيحيين، سواء داخل أو خارج إسرائيل، للتعبير عن مسؤوليتهم الكتابية أمام الرب كأولياء

لإسرائيل وللمجتمع اليهودي».

وكانت هناك عدة عوامل ساعدت على صلابة التحالف بين الصهيونية المسيحية والصهيونية اليهودية:

• أولاً: ظهور اليمين المسيحي ما أدى إلى انتشار الفكر الصهيوني المسيحي داخل اليمين الأمريكي.

• ثانيًا: نجاح جهود اللوبي الإسرائيلي بالولايات المتحدة في تقوية دعم واشنطن لإسرائيل بعد حرب ١٩٦٧.

• ثالثًا: نجاح حزب الليكود في الفوز بأغلبية الكنيست عام ١٩٧٧.

ومن المعروف أن سياسات رئيس الوزراء الإسرائيلي بيغن للتوسع في بناء المستوطنات حظيت بتشجيع المسيحين الصهيونيين الأمريكيين، وربما كان استخدامه المتكرر للاسم التوراتي للضفة الغربية «يهوذا وسامرة» Judea and Samaria في تصريحاته ساعد على إحياء فكرة عودة المسيح وصلتها بقيام الدولة اليهودية عند اليمين المسيحي.

وكشف التحالف عن نواياه في أواخر السبعينيات، عندما أعلن الرئيس الأمريكي آنذاك جيمي كارتر ترحيبه بفكرة إقامة دولة فلسطينية مستقلة، فقامت المنظمات اليهودية، والمسيحية الصهيونية بإدانة تلك الفكرة من خلال إعلان نشر في الصحف الأمريكية.

أما الرئيس الجمهوري رونالد ريغان فكان من المؤمنين بالصلة بين إنشاء الدولة الإسرائيلية وعودة المسيح، وجاء ذلك في حديث دار بينه وبين مدير لجنة الشؤون العامة الإسرائيلية الأمريكية (أيباك) الأسبق.

وتشير دراسة لأستاذ العلوم الدينية بجامعة نورث بارك بشيكاغو دونالد واغنر

إلى أن منظمات اللوبي الإسرائيلي مثل إيباك والمؤسسات المسيحية الصهيونية اشتركوا في تنظيم ندوات بالبيت الأبيض لحث إدارة ريغان على مساندة الموقف الإسرائيلي.

وحضر تلك الندوات قيادات التيار المسيحي الصهيوني مثل جيري فالويل وبات روبرتسون وتيم لاهاي وإدوارد ماكتير، ومستشار الأمن القومي الأسبق روبرت ماكفرلين، وأوليفر نورث عضو مجلس الأمن القومي في عهد ريغان.

وفي واقعة تبرز قوة التيار المسيحي الصهيوني، يكتب واغنر أنه بعد تدمير إسرائيل للمفاعل النووي العراقي عام ١٩٨١ لم يقم رئيس الوزراء الإسرائيلي بيغن بالاتصال بالرئيس الأمريكي، بل بأكبر زعماء اليمين المسيحي جيري فالويل طالبا منه أن يشرح للمجتمع المسيحي الأمريكي أسباب الضربة الإسرائيلية للعراق.

ويضيف واغنر أن فالويل نجح في إقناع الرئيس السابق للجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ جيسي هيلمز ليصبح مؤيدًا للضربة الإسرائيلية بعدما كان من أكبر منتقديها.

تراجع نسبي في عهد كلينتون

وهبطت قوة التحالف المتصهين في عهد الرئيس الديمقراطي بيل كلينتون، ولم تظهر له قوة كبيرة على السطح لعدة أسباب منها:

- خلاف كلينتون مع منظمة أيبك قرر رئيس الوزراء الإسرائيلي آنذاك إسحق رابين أن يتعامل مباشرة مع الإداوة الأمريكية دون عون منظمات اللوبي ما دفع الحلف الصهيوني إلى الهوامش.

- لم يرض معظم أعضاء اليمين المسيحي عن نتائج مباحثات أوسلو ودعم البيت

الأبيض لها.

• سيطرة حزب العمل على الكنيست أضعفت علاقة إسرائيل باليمين المسيحي المتصهين حيث أن الأخير عادة يفضل التعامل مع حزب الليكود.

تأثير فوز حزب الليكود الإسرائيلي

وبالتالي ساعد فوز الليكود بانتخابات ١٩٩٦ على إعادة إحياء هذا التحالف، خاصة مع صعود بنيامين نتنياهو إلى رئاسة الحكومة. وقد أقام نتنياهو علاقات وطيدة مع المنظمات المسيحية الصهيونية خلال خدمته مندوب إسرائيل الدائم بالأمم المتحدة في نيويورك.

وعند بداية خدمته طلب نتنياهو من المنظمات المسيحية الصهيونية جمع التبرعات المالية لإسرائيل بعد انخفاض تبرعات المنظمات اليهودية الأمريكية جراء خلافات اعترت المجتمعات اليهودية بأمريكا.

وقد شجع نتنياهو حلفاءه باليمين المسيحي على شن الحملات الإعلامية ضد مسيرة السلام. في هذا السياق قام نتنياهو بدعوة القيادات المسيحية الأصولية الأمريكية لعقد مؤتمر بإسرائيل لإعلان دعم موقفها المعادي لعملية السلام. وعند عودتهم للولايات المتحدة شنت تلك المنظمات حملة إعلامية ركزت على انتقاد مقترح تقسيم القدس.

كما رددت تلك المنظمات ادعاءات إسرائيلية عن سوء معاملة السلطة الفلسطينية للمسيحيين.

في عهد جورج بوش

عاد دور التحالف المسيحي اليهودي ليبرز مجددًا، ويقوى في عهد الرئيس

الجمهوري جورج بوش الابن، وينسب ذلك لعدة أسباب:

• تحكم الليكود في الحكومة الإسرائيلية ما قوى من دور المسيحيين الصهيونيين بالولايات المتحدة.

• نجاح الحزب الجمهوري في انتخابات ٢٠٠٠ ما قوى من نفوذ اليمين المسيحي، ومنه التيار المسيحي المتصهين.

• وقوع هجمات الحادي عشر من سبتمبر/ أيلول عزز الفكر المسيحي المتصهين، وساعد على تقوية التحالف بين المنظمات اليهودية والمسيحية بالولايات المتحدة كنوع من التصدي لخطر «الإسلام الأصولي».

وفي عهد الرئيس بوش برز دور ملحوظ للتحالف الصهيوني في تحديد مسار السياسة الأمريكية خاصة عام ٢٠٠٢، ومن أمثلة ذلك الحملة الإعلامية الشرسة التي شنها التحالف الصهيوني ضد دعوات بوش إسرائيل للانسحاب من الضفة الغربية، وأدت تلك الحملة إلى تراجع بوش عن موقفه والتوقف عن مطالبة إسرائيل بالانسحاب.

وظهرت في السنوات الماضية منظمات يمينية مسيحية مؤيدة لإسرائيل: مثل قف بجانب إسرائيل، أو Stand for Israel التي أسسها أحد أعضاء اليمين المسيحي ويدعى غاري بوار.

وقد حضر أول مؤتمر سنوي للمنظمة السفير الإسرائيلي في واشنطن دانيال أيالون وزير العدل السابق جون آشكروفت إضافة إلى العديد من أعضاء الكونغرس.

فهي إذن خطوط بيانية صاعدة وهابطة في وجودها وتأثيراتها في المحيط الثقافي والسياسي الذي تعمل فيه.

كنائس أمريكية تعادي المسيحية الصهيونية

رغم قوة وفعالية الصهيونية المسيحية في الولايات المتحدة، فإن هذا لا يعني أن الساحة خالية لها تعمل دون معارضة، فهناك كنائس مسيحية كثيرة تتخذ مواقف رافضة لهذا التيار ومحذرة من خطورته، داخل الولايات المتحدة وخارجها.

موقف الكنيسة الإنجيلية

رفضت الكنيسة الإنجيلية في الولايات المتحدة الصهيونية المسيحية، وأوكلت تحويل الرفض لأساليب عملية إلى المجلس الوطني لكنائس المسيح الذي يضم ٣٤ طائفة يمثلون حوالي ٤٠ مليون عضو.

بنى هذا المجلس إستراتجيته للتعامل مع الصهيونية المسيحية على استقطاب الإنجيليين الليبراليين الذين يرفضون التفسير الحرفي للكتاب المقدس، ويرفضون الصهيونية اللاهوتية في الكنيسة.

واستطاع المجلس التواصل مع عدد كبير منهم عبر مجلاته «القرن المسيحي» و«المسيحية والأزمات» و«القيمون» و«المصلح». ولم يغفل هذا المجلس أهمية تنسيق مواقفه الرافضة للصهيونية المسيحية مع كنائس أخرى تتشابه معه في هذا الأمر ولو بنسب، ودرجات مختلفة مثل الكنيسة المشيخية والكنيسة المنهجية والمعمدانية والأسقفية.

موقف الكنيسة الكاثوليكية

لم تكن الكنيسة الكاثوليكية في الولايات المتحدة بعيدة عن جبهات الرفض المتنامية ضد الصهيونية المسيحية، بل إنها سارعت وأعلنت موقفها الرافض منذ أكثر من ١٠٠ عام، ففي مايو١٨٩٧ لاحظت هذه الكنيسة أن التيار المقصود يهدف

في النهاية إلى السيطرة على فلسطين بمسوغات دينية مسيحية، فأصدرت بيانًا قالت فيه: «إن إعادة بناء القدس لتصبح مركزًا لدولة إسرائيلية يعاد تكوينها يتناقض مع نبوءات المسيح نفسه الذي أخبرنا أن القدس سوف تدوسها العامة حتى نهاية زمن العامة أي: حتى نهاية الزمن».

ولم يختلف موقف الفاتيكان في روما عن موقف الكنيسة الكاثوليكية داخل الولايات المتحدة، فكما رفض أفكار الصهيونية المسيحية رفض كذلك مساعيهم السياسية، وتحالفاتهم مع الصهيونية اليهودية لإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، وبرر رفضه بأسباب عدة، منها أن دعاوى الصهيونية المسيحية مخالفة للكتاب المقدس ولروح المسيحية وأنها ستلحق ضررًا بالمسيحيين الشرقيين خاصة إذا نجحوا في إقامة دولة في فلسطين.

وفي العام ١٩١٧ قال البابا بنديكت الـ١٥ معلقًا على وعد بلفور: «لا لسيادة اليهود على الأرض المقدسة».

وفي ١٥ مايو ١٩٢٢ وجه الفاتيكان مذكرة رسمية لعصبة الأمم تنتقد إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، وقال «إن الحبر الأعظم لا يمكن أن يوافق على منح اليهود امتيازات على غيرهم من السكان». ولم يختلف الموقف كثيرًا بالنسبة للبابا بيوس الـ١٢ الذي خلف بنديكت الـ١٥.

واستمر هذا الرفض حتى قيام دولة إسرائيل عام ١٩٤٨، بعدها حدث تغير لاهوتي في موقف الكنيسة الكاثوليكية بعد أن استطاع الإسرائيليون/ اليهود أن يقنعوا كبار رجال الدين في الكنيسة الكاثوليكية أن وجودهم في الشرق الأوسط مهم لمحاربة الشيوعية «الإلحادية» ووقف امتدادها.

وازداد هذا الموقف تماسكا في ولاية جون كينيدي أول رئيس أميركي كاثوليكي

يدخل البيت الأبيض، وكان بصحبته الأسقف كاشنغ الذي كان مشبعًا بالعداء للشيوعية ووجد أن إسرائيل/ اليهود وليس الإسلام هو الحليف الطبيعي للولايات المتحدة ضد الشيوعية.

بعد هذا الاختراق الكنسي كثرت المنظمات الكاثوليكية المطالبة بتغيير مواقف الفاتيكان اللاهوتية من مبدأ قيام دولة يهودية ومبدأ عودة اليهود إلى فلسطين.

وقامت كذلك جنبًا إلى جنب منظمات كاثوليكية أخرى لا ترفض قيام دولة يهودية ولكنها تدعو أن يكون ذلك مصاحبًا لمنح الفلسطينيين حقوقهم.

موقف الكنيسة الأرثوذكسية

بنت الكنيسة الأرثوذكسية في الولايات المتحدة معارضتها للصهيونية المسيحية على منطلقات عقائدية، حيث اعتبرت أن هذا التيار يصر على زرع رؤية لاهوتية غريبة عن المسيحية وأن أهدافها سياسية، وليست دينية وهي في محصلتها الختامية تخدم مصالح دولة بعينها.

مجلس كنائس الشرق الأوسط

أما بالنسبة لموقف كنائس الشرق الأوسط من هذا التيار فقد تمثل في الرفض المؤسس كذلك على أسباب دينية وسياسية وإنسانية.

واعتبر مجلس كنائس الشرق الأوسط الصهيونية المسيحية، كما جاء في بيانه الصادر في أبريل ١٩٨٦، «سوء استعمال للكتاب المقدس وتلاعبًا بمشاعر المسيحيين في محاولة لتقديس إنشاء دولة من الدول وتسويغ سياسات حكوماتها».

وأجمل الأمين العام للمجلس القس رياض غريغور مبررات الرفض في الأسباب التالية:

إن الصهيونية المسيحية لا تمت بصلة للمسيحية؛ لأنها تشويه مشبوه الغايات لبعض ما جاء في أسفار الكتب المقدسة.

إنها مؤامرة حيكت ضد المسيحيين عامة والمسيحيين العرب خاصة، لضرب المشروع الحواري بين المسيحية والإسلام، ولتبرير أطروحات صراع الحضارات والأديان، لاسيما بين المسيحية والإسلام، وهي تستهدف ضرب العيش المشترك الإسلامي المسيحي في العالم العربي.

الروم الأرثوذكس

ولم تشذ كنيسة الروم الأرثوذكس عن هذا الاتجاه، فقد رفضت الصهيونية المسيحية واعترضت على المسمى نفسه، وأصر بطريرك الروم الأرثوذكس في القدس الأب عطا الله حنا على تسميتها «المجموعات المتصهينة التي تدعي المسيحية».

وبنى هذا الرفض على اعتقاده بأن هناك تناقضًا كبيرًا بين ما تعلمه وتنادي به المسيحية من سلام ووئام ومحبة وبين ما تدعو إليه الصهيونية من تكريس للفكر العنصري، والتمييز العرقي، وممارسة أساليب خبيثة شيطانية لتمرير مشاريع مشبوهة، فهي أقرب إلى اليهودية الصهيونية منها إلى أي شيء آخر.

وما زاد من مخاوف الروم الأرثوذكس من الصهيونية المسيحية ما يشيرون إليه من أن أهداف هذه الحركة هو استقطاب المسيحيين الشرقيين والعمل على سلخهم من هويتهم وجذورهم الشرقية وقضاياهم القومية تحت لافتة التبشير بالمسيحية.

ويؤكد الروم الأرثوذكس كذلك أن ما يجعلهم يتشددون في الرفض اعتقادهم بأن التفسيرات والتحليلات الصهيونية للكتاب المقدس هي تفسيرات، وتحليلات سياسية وغير روحانية هدفها تبرير الاحتلال والعدوان والترويج لأن الأرض الفلسطينية لهم، وليست لسواهم.

موقف الكنيسة اليوم تجاه المسيحية الصهيونية

■ ■ ■ ■ ■

موقف الكنيسة الداعم....

يتمثل الارتباط أو الزواج بين المسيحية والصهيونية بثلاثة حلقات متحدة المركز يمكن أن تلخص العلاقة الداعمة فيما بينهم وهي:-

تتمثل الأرض الفلسطينية الحلقة الخارجية.

الحلقة الثانية « الوسطى » تتمثل بالقدس.

الحلقة الثالثة تتمثل بالهيكل وهي الحلقة المركزية.

وبناءً عليه:

تمت المطالبة بالأرض والحصول عليها في عام ١٩٤٨.

تم احتلال القدس في عام ١٩٦٧.

لا يزال موقع الهيكل متنازع عليه.

فالمسيحية الصهيونية تسعى إلى أن تكون هذه الحلقات الثلاثة تحت سيطرت إسرائيل. ويمارسون في استمرار الضغط على الولايات المتحدة وحكوماتهم لتستمر إسرائيل ببرنامجها التوسعي.

الكنائس المسيحية الداعمة:

في كل كنيسة تقريبًا هناك موقف داعم وموقف رافض للحركة المسيحية

الصهيونية فلم يكن لأي كنيسة واحدة رأي واحد حول هذا الموضوع وكان الاختلاف دائمًا قائم في وسطهم.

الكنيسة البروتستانتية.....

فكما ذكرت انه منذ نشأتها بدأت تدعم اليهود من خلال معتقدات وتفاسير حرفية دينية فكانت هذه الحركة تعتبر من أخطر الحركات وأوسعها انتشارًا، فقد اندمجت في هذه الحركة البروتستانتية أو ما عرفت بحركة الإصلاح الديني أساطير صهيونية تسربت إليها عبر التفسيرات الحرفية للتوراة، وساعدت على بلورت وتبني دوافع سياسية واقتصادية واجتماعية عديدة تخدم مصالح اليهود.

فكانت العلاقات بينهم عميقة جدًا حيث تعتبر الحركة البروتستانتية هي الحركة الأولى الداعمة للشعب اليهودي من حق وارض ووطن معتبرتًا دعمها هذا ما هو إلا تطبيق لوعود وخطة الله على الشعب اليهودي وخصوصًا فيما يتعلق بالحكم الألفي وحكم إسرائيل للعالم.

ويعتبر الإنجيليون اليوم هم أكبر داعم للحركة المسيحية الصهيونية ويمكن العود إلى كتاب ستيفن سايزر الطريق إلى هرمجدون لمعرفة كيف يدعمون الحركة وخصوصًا اليوم في أمريكا.

الكنيسة الكاثوليكية......

لم يقتصر الأمر على الكنيسة البروتستانتية بل تعداه التغير في التعامل إلى الكنيسة الكاثوليكية التي عدلت موقفها تجاه اليهود تدريجيًا كالآتي:

- ١٩٤٧ تأييد الفاتيكان مسألة تدويل القدس وفق خطة الأمم المتحدة للتقسيم.
- ١٩٦٠ اعتذار البابا (يوحنا بولس ال٢٣) عن دور الكنيسة في نشر العداء

للسامية.

- ١٩٦٥ أعلن المجمع المسكوني الثاني براءة اليهود من دم المسيح.

- ١٩٩٣ اعتراف الفاتيكان رسميًا بدولة إسرائيل.

- ١٩٩٧ إصدار وثيقة تاريخية من الفاتيكان لشطب كل مظاهر العداء لليهود من الكتب المسيحية.

- ٢٠٠٠ زيارة البابا (يوحنا بولس الثالث والعشرين) للقدس وصلى في حائط المبكى وزار (يدفشيم).

- ٢٠٠٩ زيارة البابا بنديكتوس السادس عشر للقدس وزارة المحرقة وجلس مع عائلة الجندي الإسرائيلي المأسور في غزة شليط.

ملاحظة هامة ومؤسفة متمثلة في أن المسيحيين ساهموا في إضافة البعد الديني للحركة الصهيونية، وفي استمرار الصراع الفلسطيني الإسرائيلي فلولا مساهمتهم هذه لبقيت حركة وطنية قومية.

موقف الكنيسة الرافض وردود فعله...

الكنائس المسيحية المعارضة ، والمتمثلة بشكل عام بكنائس الشرق الأوسط (المسيحيين العرب) .

الكنيسة الأرثوذكسية

عارضت الكنيسة الأرثوذكسية الحركة المسيحية الصهيونية من منطلقات عقائدية، حيث اعتبرت أن هذا التيار يصر على زرع رؤية لاهوتية غريبة عن المسيحية وأن أهدافها سياسية وليست دينية وهي في محصلتها الختامية تخدم مصالح دولة بعينها. واعترضت أيضًا على المسمى نفسه، وأصر بطريرك الروم الأرثوذكس في القدس الأب

عطا الله حنا على تسميتها «المجموعات المتصهينة التي تدعي المسيحية»..

الرد اللاهوتي على بعض عقائد المسيحية الصهيونية..

ردود فعل معارضة للحركة من قبل بعض رجال الدين الكاثوليك العرب بخصوص الأرض وآخر الأيام:-

فقد تمسكوا بنظرية القديس أوغسطين والذي يقول بخصوصها: « بأن ما ورد في الكتاب المقدس بشأن مملكة الله قائم في السماء وليس على الأرض، وبالتالي فإن القدس وصهيون ليسا مكانين محدودين على الأرض لسكنا اليهود، ولكنهما مكانان سماويان مفتوحان أمام كل المؤمنين بالله »، ولذلك كان رجال الدين الكاثوليك يعتقدون أن الفقرات الواردة في العهد القديم لا تنطبق على اليهود، لأن اليهود طبقًا للعقيدة الكاثوليكية اقترفوا إثمًا، فطردهم الله من فلسطين إلى منفاهم في بابل، وعندما رفضوا دعوة السيد المسيح نفاهم مرة ثانية، وبذلك انتهت علاقة اليهود بأرض فلسطين إلى الأبد.

وقد وضح هذه النقطة بطريرك الروم الكاثوليك في دمشق في كتاب له مؤرخ في ١٧/ ١١/ ١٩٧٧، حيث قال: «إنه يفوت بني قومي أن السيد المسيح نسخ أحكام العهد القديم القومية، فبعد أن لعن سبع لعنات فقهاء العهد القديم (متى ٢٣)، ختم بهذا الحكم المبرم قائلًا: «هوذا بيتكم خرابًا» (متى ٢٣-٣٨) وقد تحققت نبوءة السيد المسيح الذي رفضوه، ولم يبق لهم وعد الله التوراتي بالأرض المقدسة».

مجلس كنائس الشرق الأوسط وموقفه المعارض تجاه الحركة...

أما بالنسبة لموقف كنائس الشرق الأوسط من هذا التيار، فقد تمثل في الرفض المؤسس على أسباب دينية، وسياسية، وإنسانية.

كما اعتبر مجلس كنائس الشرق الأوسط الصهيونية المسيحية، كما جاء في بيانه الصادر في أبريل ١٩٨٦، «سوء استعمال للكتاب المقدس، وتلاعب بمشاعر المسيحيين في محاولة لتقديس إنشاء دولة من الدول وتسويغ سياسات حكوماتها».

وأجمل الأمين العام للمجلس القس رياض غريغور مبررات الرفض في الأسباب التالية:

إن الصهيونية المسيحية لا تمت بصلة للمسيحية لأنها تشويه مشبوه الغايات لبعض ما جاء في أسفار الكتب المقدسة.

إنها مؤامرة حيكت ضد المسيحيين عامة والمسيحيين العرب خاصة، لضرب المشروع الحواري بين المسيحية والإسلام، ولتبرير اطروحات صراع الحضارات والأديان، لاسيما بين المسيحية والإسلام، وهي تستهدف ضرب العيش المشترك الإسلامي المسيحي في العالم العربي.

واعتبروها حركة خطيرة تعرض الشهادة المسيحية في المكان الذي نشأت فيه كنيسة يسوع المسيح، ولا تزال مستمرة إلى اليوم الحالي إلى الخطر من ناحية هويتهم ووجودهم على هذه الأرض، وتمثل النزعة الصهيونية الغربية في الفكر المسيحي حدث تدخل خارجي في المنطقة، بل أن الكنائس التي لا تزال تعيش بالإيمان المسيحي في تواصل مستمر منذ يوم العنصرة تعتبر هذه النزعة بمثابة لعنة في الإيمان المسيحي .

« يوجد في جميع أنحاء الشرق الأوسط ما يزيد على ١٢ مليون من المسيحيين تنتمي الغالبية العظمى منهم إلى الكنائس الشرقية الأرثوذكسية، وتشترك هذه مع الكنائس الكاثوليكية، والإنجليكانية، والبروتستانتية الوطنية في السعي من أجل وحدة الكنيسة، استجابة لدعوة المسيح كي تصبح واحدة (يوحنا١٧ :٢١)، وهي إذ

تقدم الشهادة للإنجيل في منطقة مشحونة بالعنف، والصعوبات اقتصادية والتغيرات الاجتماعية السريعة فأنها تنظر من المبادرات المسيحية التي ترد من خارج المنطقة أن تحترم حياتها ودعواتها الخاصة من حيث الرسالة أو الخدمة، إلا أن السفارة المسيحية الدولية في القدس لا تعترف بهذه الحقيقة، بل تنظر إلى كنائس المنطقة، وكأنها ميتة من الناحية الروحية وبالتالي يمكن تجاهلها». (مركز اللقاء،٢٤).

كما عبر الأمين العام لمجلس الكنائس الشرق الأوسط عن موقف مماثل في رسالة وجهها إلى الكنائس بتاريخ ٧/ ٣/ ١٩٨٨ جاء في الرسالة « في الشرق الأوسط حيث يلعب الدين دورا مهما ومتناميا في تحديد العلاقات المستقبلية بين الشعوب والدول لا يوجد أي مجال لايدولوجيا مسيحية صهيونية متحيزة، وتشكل تشويها خطيرا للإيمان المسيحي بل يتوجب على المسيحيين في جميع أنحاء العالم رفض كافة أفكار التفوق لشعب معين على غيره من الشعوب ضمن خليقة الله» . (لحام،١٢٥).

هذا على مستوى المواقف والتصريحات، لكن الموقف الأهم هو الموقف الفكري الذي يعالج الموضوع من جذوره، أي: الموقف الذي يزعم التفسير الحرفي للكتاب المقدس، والحق السياسي على الأرض باسم الدين.

أكثر ما يثير القلق بالنسبة لمعارضي تيار المسيحيين الصهيونيين في إسرائيل هو احتمال أن يكون موقفهم متقلبًا.

ومن المهم الإشارة هنا أن بعد رجال الدين العرب اضطروا في بعض المراحل إلى الخروج عن مواقف طوائفهم نحو معارضة ومواجهة المسيحية الصهيونية أمثال الأب عطاالله حنا، والأب مشيل صباح، والقس أليكس عوض، وكثير آخرين من رجال الدين العرب.

كما قررت حركة السبيل التي أسسها نعيم عتيق، وتشمل الطوائف المسيحية في فلسطين شن هجوم مضاد على المسيحية الصهيونية فعقدت مؤتمرات دولية تحت عنوان (تحدي المسيحية الصهيونية) شارك في هذا المؤتمر الذي عقد في مدينة القدس المحتلة أكثر من ٥٠٠ شخصية مسيحية من ٣١ دولة لمناقشة طرق مواجهة النفوذ المتزايد للمسيحية الصهيونية، كما شهد المؤتمر تحذيرات من جانب بعض اليهود من هذا النفوذ بالفعل.

الكنيسة الإنجيلية في فلسطين:

فقد حاربت الكنيسة الإنجيلية في فلسطين الحركة المسيحية الصهيونية وتمثل محاربتها لهذه الحركة عبر كلياتها التعليمية، والتي تعمل من خلالها على توعية الشباب المسيحية إضافتًا إلى إصدار بعض رجال الدين الإنجيليين عدد من الكتابات والمقالات اللاهوتية أظهروا من خلالها ضعف وزيف هذه الحركة اللاهوتي أمثال القس سليم منير والقس أليكس عوض والقس حنا كتناشوا والأستاذ منذر إسحق وغيرهم الكثيرون ممن حاربوا المسيحية الصهيونية ....

فقد أشار الأستاذ منذر إسحق إلى الدور السلبي الذي لعبته الحركة الصهيونية في أمريكا في تفسير الكتاب المقدس والحقائق المسيحية، حيث أخذوا يقرؤون الكتاب المقدس بحرفية وخاصة العهد القديم، فقد ركزوا على نبوات العهد القديم بشكل كبير وأساسي.

كما أوضح أن الفكر التدبيري يرجع إلى داربي ١٨٠٠-١٨٨٢ الذي وضع نظاما جديدا لفهم الكتاب المقدس يعتمد على التميز بين إسرائيل والأمم، فأخذ داربي بتفسير نبوات العهد القديم حرفيًا ورمزيًا بين إسرائيل والأمم، ويعطي مثال الكنيسة، فصهيون قد ترمز للكنيسة ولكن حسب فكره، في النهاية صهيون هي

صهيون الأرضية وإسرائيل هي إسرائيل الحرفية الأرضية. فنبوات العهد القديم تتعلق فقط بالأرض ولا تتكلم عن السماء، حيث يقول: إن النبوة هي عن البركات الأرضية (الأرض ، الهيكل في القدس).

فقد أصبح الفكر التدبيري هو الفكر السائد بين الإنجيليين الأصوليين الذين أخذوا بتفسير النبوات بشكل حرفي.

الرد اللاهوتي حول قضية الأرض...

من الضروري أن ننظر إلى الأمور اللاهوتية لموضوع الأرض، فقد رأينا أن الأرض هي التي تعاني بسبب هذه الأفكار لذا من المهم أن نعرف ما يقول الكتاب المقدس عن هذا الموضوع:

اعتبر الكاتب اللحام أن مفهوم الأرض قد تطور في مختلف مراحل الوحي ابتداء بالمعنى المادي، والجغرافي، والسياسي، وانتهاء بالمعنى الروحي، والرمزي، ولم تعد إرادة الله مقيدة بأرض وليس هناك ارض محدده للعبادة، وليست الأرض القيمة الأولى والمطلقة إنما الأول هو الله وتعالى وعبادته .(لحام، ١٢٧)

أما بالنسبة لموضوع الأرض فيرد الدكتور سليم منير بأن الأرض ملك الله وإسرائيل هي نزيلة الله على الأرض، وعلى الشعب أن يكون أمينًا فتملك الأرض ليس أمرًا مطلقًا والدليل على ذلك هو أننا نجد في العهد القديم عدة أمور أوضحت لبني إسرائيل أن الأرض هي ملك له تمثلت بنظام خاص يحدد الملكية على الأرض فكان كل خمسين سنة تعود كل ارض أو بيت أو عبد باع نفسه بسبب اضطهاد أو ضيقة إلى صاحبها ويحرر العبيد وذلك للإقرار بأن الله هو سيد الجميع والمالك الحقيقي للأرض، أضافتًا إلى أن العشور أيضًا التي نقدمها إلى الله تعلن أن الأرض لمن تتبع (يبارك الله الذي يخرج الخبز من الأرض)، ومن خلال إخراج شعب إسرائيل من الأرض عندما

كان يخطئ، سنة الراحة السنة السابعة، كما أمر بعدم تعليق إنسان على الشجرة أثناء الليل، وليس هذا فقط بل حتى أنه منعهم أيضًا من قطع أي شجرة فيها ثمار.

فأكد الدكتور سليم انه مع كل عهد ومع كل مرحلة جديدة في تاريخ الشعب اليهودي كان المعنى الروحي يتضح أكثر وأكثر فالأبرار يرثون الأرض (مزمور ٣٧،٢٣)، ونفس الأمر كرره المسيح في التطوبيات طوبى للودعاء لأنهم يرثون الأرض (متى ٤،٥) وفي(رؤيا ٣ ،١٢) –(٢ ، ٢١) يوضح الصورة الأشمل وبذلك تصبح أورشليم الأرضية الصورة لأرض الميعاد التي هي وطننا السماوي عند الله.

لقد طرح القس اليكس عوض في كتابه Palestinian Memories بعض الأسئلة كرد على الفكر الصهيوني. حيث يقول في كتابه بأن هناك مراجع كتابية تقول: بأن الله أعطى الأرض المقدسة لإبراهيم ونسله والشعب اليهودي القديم، ففي تكوين ١٢ : ١-٥ وعد الله إبراهيم بأنه سيعطي أرض كنعان له ولنسله ، وهناك أيضا وعود معادة خلال العهد القديم ، والتحدي الذي يعطيه القس اليكس هو البحث عن الأسئلة التي قدمها في كتابه .

السؤال الأول : هل هذه الوعود هي وعود غير مشروطة ؟

العهد القديم مليء بالدلائل التي تشير أن هذه الوعود هي وعود مشروطة بأمانة وطاعة شعب إسرائيل. وقد استخدم بعض الآيات والمراجع التي تؤكد هذا الكلام :

(تكوين ١٨ :٢٨) (لاويين ٢٠ :٢٢) (تكوين ١٧ :١)، هذه الآيات وآيات أخرى مسيحية تظهر بكل وضوح بأن ملك شعب إسرائيل للأرض كانت مشروطة بطاعتهم لله، وعندما فشل شعب إسرائيل في طاعة الله، تم أخراجهم من الأرض.

السؤال الثاني : هل هذه الوعود هي وعود أبدية وغير منتهية ؟

في الماضي وعد الله إسرائيل القديمة بإعطائهم الأرض، وقد حقق وعده، ولكن

هناك بعض المسيحيين الذين ما زالوا حتى الآن يقرؤون العهد القديم بوعوده ونبواته التي قد أعطيت قبل أربع أو خمس آلاف سنة، ومازالوا يسعون لطلب تحقيق معاصر لتلك النبوات التي قد تمت فعلًا .

تم أعطاء بعض هذه النبوات إلى اليهود عندما كانوا في السبي في بابل؛ حيث كانت رسالة هذه النبوات هي رسالة أمل للمسبيين، ووسيلة من خلالها يتم تحضيرهم للرجوع إلى الأرض، هذه النبوات لا تتكلم عن الصراع العربي الإسرائيلي والوضع الحالي في الشرق الأوسط، لكن للأسف يتم أخذ هذه النبوات من سياقها الصحيح للحديث عن الوضع الحالي.

أن التلاعب بكلمة الله هو شيء ليس بعادل للسجل الكتابي ومؤذ بشكل كبير لجميع الفلسطينيين وخاصة للمجتمع المسيحي الفلسطيني .

ويتساءل القس « إلى متى سيتم استخدام الكتاب المقدس كدليل إرشادات لتعزيز الاحتلال العسكري؟ وكم من الوقت يجب على الفلسطينيين أن يتعرضوا إلى وحشية الهجمات العسكرية التي تمليها نظريات إلهية؟

السؤال الثالث : هل نبوات العهد القديم المرتبطة بالأرض ما زالت لها نفس الأهمية، والمعنى ضمن أطار العهد الجديد ؟

للإجابة على هذا السؤال من الضروري فهم التشابهات، والاختلافات ما بين العهدين. سأتناول خمسة عناصر رئيسية في العهدين: (الكهنوت – الذبيحة- الهيكل – الأمة والأرض).

١ . الكهنوت : لقد أسس الله الكهنوت في العهد القديم، وقد أصبح هارون أخ موسى أول رئيس كهنة.

في أسفار موسى الخمسة تم أعطاء تعليمات مفصلة لإدارة الكهنوت، ولكن

كتاب العهد الجديد قام بوصف نوع جديد من الكهنوت، وهو كهنوت جميع المؤمنين. لقد تحدث بطرس في رسالته الأولى عن المؤمنين الجدد من اليهود، (وأما أنتم فجنس مختار، وكهنوت ملوكي، أمة مقدسة، شعب اقتناء، لكي تخبروا بفضائل الذي دعاكم من الظلمة إلى نوره العجيب الذين قبلا لم تكونوا شعبًا، وأما الآن فأنتم شعب الله. الذين كنتم غير مرحومين، وأما الآن فمرحومون).

أما كاتب الرؤية فيركز على نفس الموضوع: (رؤية ١ : ٥-٦).

لقد كان الكهنوت في العهد القديم محددًا على سبط واحد من إسرائيل وهو سبط اللاويين، ولكن من الواضح في العهد الجديد أن جميع الأشخاص الذين يؤمنون هم أعضاء في الكهنوت الملوكي. ولقد تحدث كاتب سفر العبرانيين مقارنًا الكهنوت في العهد القديم مع كهنوت العهد الجديد، شارحًا أنه يجب أن يختفي الكهنوت القديم ليفسح مجالاً لكهنوت جديدو دائم. (عبرانيين ٧ : ٢٤-٢٥)

٢. الذبيحة: كانت الذبائح الحيوانية جزءًا مهمًا للعبادة في العهد القديم، لكن تغير الوضع في العهد الجديد حيث أصبح يسوع الذبيحة الأبدية ليكفر عن جميع الخطايا، (عبرانيين ١٠: ١١-١٢)

٣. الهيكل : العهد الجديد لا ينهي فقط الحاجة لذبائح حيوانية والكهنوت اللاوي، ولكنه أيضًا يلغي الحاجة إلى هيكل مركزي . بدلًا من الهيكل في القدس، أصبحت كنيسة يسوع المسيح (المخلصين من جميع الأمم)هيكل الروح القدس.

(لوقا ٢١ : ٥-٦)- (كورنثوس الأولى ٣: ١٦ -١٧) (كورنثوس الأولى ٦ : ١٩ — ٢٠) (كورنثوس الثانية ٦: ١٦).

٤. الأمة : وفقا للعهد القديم، اختار الله عائلة ، وهذه العائلة كانت مكونة من إبراهيم ونسله. أنشأ الله أمما من هذه العائلة واختار واحدة منها لتكون نورا لجميع

الأمم ، هذه الأمة هي إسرائيل ، التي منها أتى الأنبياء والناموس ، وقد أصبحت تعرف بشعب الله المختار ، ولكن بموت يسوع المسيح على الصليب وبداية العهد الجديد ، تم فتح أبواب نعمة الله لجميع الجنس البشري .

أصبح لليهود والأمم ألان دخول سماوي إلى امتيازات ومسؤوليات كونهم شعب الله .

وفقا للعهد الجديد فأن هذه الآيات تعطي الإجابة عن من هم شعب الله .

« افسس ٢ : ١٤ - ٢٢» (لأَنَّهُ هُوَ سَلاَمُنَا، الَّذِي جَعَلَ الاثْنَيْنِ وَاحِدًا، وَنَقَضَ حَائِطَ السِّيَاجِ الْمُتَوَسِّطَ أَيِ الْعَدَاوَةَ. مُبْطِلًا بِجَسَدِهِ نَامُوسَ الْوَصَايَا فِي فَرَائِضَ، لِكَيْ يَخْلُقَ الاثْنَيْنِ فِي نَفْسِهِ إِنْسَانًا وَاحِدًا جَدِيدًا، صَانِعًا سَلاَمًا، وَيُصَالِحَ الاثْنَيْنِ فِي جَسَدٍ وَاحِدٍ مَعَ اللهِ بِالصَّلِيبِ، قَاتِلًا الْعَدَاوَةَ بِهِ .فَجَاءَ وَبَشَّرَكُمْ بِسَلاَمٍ، أَنْتُمُ الْبَعِيدِينَ وَالْقَرِيبِينَ .لأَنَّ بِهِ لَنَا كِلَيْنَا قُدُومًا فِي رُوحٍ وَاحِدٍ إِلَى الآبِ .فَلَسْتُمْ إِذًا بَعْدُ غُرَبَاءَ وَنُزُلًا، بَلْ رَعِيَّةٌ مَعَ الْقِدِّيسِينَ وَأَهْلِ بَيْتِ اللهِ، مَبْنِيِّينَ عَلَى أَسَاسِ الرُّسُلِ وَالأَنْبِيَاءِ، وَيَسُوعُ الْمَسِيحُ نَفْسُهُ حَجَرُ الزَّاوِيَةِ، الَّذِي فِيهِ كُلُّ الْبِنَاءِ مُرَكَّبًا مَعًا، يَنْمُو هَيْكَلًا مُقَدَّسًا فِي الرَّبِّ .الَّذِي فِيهِ أَنْتُمْ أَيْضًا مَبْنِيُّونَ مَعًا، مَسْكَنًا للهِ فِي الرُّوحِ)

أيضا (كولسي ٣: ١٢) (بطرس الأولى ٢: ٩- ١٠) (يوحنا ١: ١١ - ١٣).

٥. الأرض: كما تم إزالة هيكليات وأشكال الكهنوت، الذبائح، الهيكل والأمة في العهد القديم وتعديلها لتفسح مجالاً للعهد الجديد، هذا ما حدث بخصوص الأرض أيضًا، كانت الأرض في العهد القديم مهمة لسكنى شعب الله المختار ولتوفير مكانًا لهيكل مركزي، الذي فيه يتم تأدية وظيفة الكهنوت، ولكن بما أن هذه السمات الأساسية للعهد القديم قد تغيرت لم يكن هناك أي حاجة لأرض معينة للعهد الجديد، ولهذا السبب تم تعديل مفهوم أرض الموعد في العهد الجديد لتصبح

ملكوت الله .

عندما سأل معاصروا يسوع عن موقع الملكوت ، رد عليهم بقوله ، أن ملكوت الله في داخلكم ، لقد جعل يسوع المسيح ملكوت الله ملكوتًا عالميًا من خلال وضع هذا الملكوت في قلوب المؤمنين . المملكة التي توجد في كافة أرجاء العالم لا تحتاج أن تكون محددة بأرض معينة. (لوقا ١٧ : ٢٠- ٢١).

رد الكنيسة الأرثوذكسية اللاهوتي...

كما بنت كنيسة الروم الأرثوذكسية رفضها اللاهوتي لأنها تعتقد بأن هناك تناقضا كبيرا بين ما تعلمه وتنادي به المسيحية من سلام ووئام ومحبة وبين ما تدعو إليه الصهيونية من تكريس للفكر العنصري، والتمييز العرقي وممارسة أساليب خبيثة شيطانية لتمرير مشاريع مشبوهة، فهي أقرب إلى اليهودية الصهيونية منها إلى أي شيء آخر.

وما زاد من مخاوف الروم الأرثوذكس من الصهيونية المسيحية ما يشيرون إليه من أن أهداف هذه الحركة هو استقطاب المسيحيين الشرقيين، والعمل على سلخهم من هويتهم وجذورهم الشرقية وقضاياهم القومية تحت لافتة التبشير بالمسيحية.

ويؤكد الروم الأرثوذكس كذلك أن ما يجعلهم يتشددون في الرفض اعتقادهم بأن التفسيرات والتحليلات الصهيونية للكتاب المقدس هي تفسيرات وتحليلات سياسية وغير روحانية هدفها تبرير الاحتلال والعدوان والترويج؛ لأن الأرض الفلسطينية لهم وليست لسواهم.

كما رد الكاتب والمحاضر كولن تشابهان بشكل لاهوتي على الحركة من خلال طرحه عشرة أسئلة موجهة إلى الصهاينة المسيحيين أهمها تمثل في أن العهد الذي قطع لإبراهيم يشكل رزمة واحدة أو صفقة متكاملة إذا صح التعبير مما يقتدي أن

نتظر إليهما على نحو مترابط وذلك لأن الوعود لم تتحقق حرفيًا إنما أنجزت بالمسيح يسوع، وأن العودة الجديدة إلى الأرض المقدسة ما هي إلا وقت يرحم فيه الله صهيون لأنه وقت الرأفة ووقت بنائها ورؤيتها بمجده مع العلم أن المسيح لم يخص الأرض إلا بكلمات قليلة، وكذلك الرسل أيضًا فلم يعودوا يعتقدون أن تأسيس دولة يهودية ذو أهمية بالنسبة إلى ملكوت الله فاستخدموا العهد القديم بخصوص الأرض بأساليب جديدة فمثلًا تحدث بولس عن كلمة نعمة الله القادرة أن تبنيكم وتعطيكم ميراثًا مع جميع المقدسين) أعمال ٢٠: ٣٢) وكذلك بطرس عندما تحدث عن الميراث الذي يختلف عن الأرض لأنه لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل ١(بطرس ١: ٤) وتبرز اسمًا تعاليمهم في الرسالة إلى (العبرانيين ١٢: ٢٢) « بل قد أتيتم إلى جبل صهيون والى مدينة الله الحي أورشليم السماوية».

كما ختم الكاتب كولن تشابمان في محاضرته بتوجيه ندائين شجع فيهم على مواصلة وتكثيف الحوار بيننا وبين المسيحيين الصهيونيين من منطلق قوة مبادئنا وضعف حججهم، كما أكد على ضرورة الانتقال، والاهتمام من هذه النقطة إلى معالجة قضايا مهمة أخرى تخص المسيحيين وبقائهم والحفاظ عليهم اليوم في الشرق الأوسط.



الخاتمة

إن الفكر الصهيوني العالمي الذي ينتشر مثل الطاعون حول الأرض ويهيم علي القدر الكبير من شتي الأمور لهو العدو الأكبر الذى يجب علينا التصدي له بكل ما أوتينا من قوة

وهذا دور الإنسان المثقف الذى يري ويحلل وينقد ويشير بالقلم ويضع الحلول

أعلن من خلال هذا الكتاب أننا سنواجه هذا المخطط الصهيوني مهما كلفنا الأمر

إن الصهاينة ترانا بلهاء خاوين من الفكر وهي أيضا تعمل على هذا طول الوقت

وأرجو من الله عز وجل أن يوفقنا لكشف مخططاتهم بعونه .

القاهرة ٢٠٠٩

د. يوسف حسن يوسف

قائمة المراجع

- سايزر، ستيفن. الصهيونيون المسيحيون على الطريق إلى هرمجدون. ط ١، بيروت: لبنان، ٢٠٠٤.

- البيان الختامي للمؤتمر السادس لمجلس بطاركة الشرق الكاثوليك، درعون - تشرين الأوّل (أكتوبر) ١٩٩٦.

- مركز اللقاء، مؤتمر اللاهوت والكنيسة المحلية في الأرض المقدس، الدورة العاشرة، بيت لحم ٢٧-٢٩ حزيران ٢٠٠٣، الحضور المسيحي الفلسطيني، ندوة بعنوان : موقف الكنيسة الفلسطينية من المسيحية الصهيونية.

- خوري، جريس. اللقاء، مجلة دينية وتراثية واجتماعية. القدس: مركز اللقاء للدراسات التراثية والدينية في الأرض المقدسة. ع ١+٢، ٢٠٠٤.

- د. عبد الوهاب المسيري، د. القس مكرم نجيب، الإنجيليون العرب والصهيونية، دار الثقافة ١٢٩٨ - القاهرة.

- نعيم عتيق، سيدر دعيبس ، مدريب توبين. الصهيونية المسيحية (نشأتها - مخاطرها _ مجابهتها)، منشورات الرمال، بيروت/ لبنان ٢٠٠٨.

- مركز اللقاء للدراسات الدينية، والتراثية في الأرض المقدسة، ترجمة لورنس سمور، ما هي المسيحية الصهيونية الأصولية الغربية؟، القدس ١٩٩١. « النص الأصلي من منشورات مجلس كنائس الشرق الأوسط آب ١٩٨٨».

- الكتاب المقدس، ترجمة فانديك. دار الكتاب المقدس بمصر / القاهرة، ١٩٩٩.

- (ملف خاص.. إعداد وحدة الدراسات السياسية الشرقية أون لاين - وحدة الدراسات السياسية.

فهرس الكتاب

الموضوع **الصفحة**

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة